الإمام الحسين عليه السلام

ثورة إصلاح وتغيير مسار

حسين صالح العايش البراك

الفصل الأول : أسباب ثورة الإمام الحسين [ع].

تجديد الخطاب الحسيني في ذكرى عاشوراء

الإمام الحسين المصلح الاجتماعي والسياسي .

قال النبي ﷺ : (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)[١] .

نلتقي بعاشوراء إمامنا الحسين عليه السلام وملحمته التاريخية العظيمة التي سطّرها وكان لها أبلغ الأثر في تاريخ الفكر البشري، هذا الحدث يتطلب منا أن نقف وقفة تأمل في بعض ما ينبغي لنا أن نقوم به تجاه هذه الملحمة العظيمة، لا أحد يشك أنّ إمامنا الحسين عليه السلام قام بهذه الثورة من أجل إرجاع الأمور إلى نصابها السليم والصحيح، وكان يرى الانحراف في أوساط الأمة على أصعدة متعددة ؛ فهناك انحراف في مجال السلوك قام به الأمويون كتمييع للفضيلة، وإغراق الشخصية الإسلامية في مستنقع الرذيلة والانحراف الأخلاقي، وهناك أيضاً انحراف في المجال الاقتصادي، فالأثرة وتقديم المقربين هي المحكمة في التوزيع الاقتصادي من بيت المال، وهناك انحراف أعظم من هذه الانحرافات يرتبط بتخطيط الأمويين للقضاء على الهوية العقدية للأمة، ذلك ما أبرزه يزيد بن معاوية لما تولى السلطة في بعض أشعاره عندما قال:

لَعِبَتْ هاشمُ بالملكِ فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[٢]

ومعنى ذلك أنّ السلطة تتبنى مشروعاً تشكيكياً في الجانب العقدي للأمة الإسلامية، فما كان من الإمام عليه السلام إلا أن يقف هذه الوقفة التي وقفها وهو يعلم مسبقاً أنّ الموت المحتم ينتظره وأصحابه، وقد أخبر بذلك في مكة، قال عليه السلام: (كأني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء)[٣]، وردّ أيضاً على بعض النّاصحين له بأن لا يخرج أو أن يُغير مساره ووجهته إلى اليمن أو إلى غيره من بقاع الأرض المختلفة، وقد أخبره بعضهم بالمصير المحتوم الذي ينتظره فكان جوابه عليه السلام: (شاء الله أن يراني قتيلاً، وشاء الله أن يراهن سبايا[٤]، أي أنّه عليه السلام خطّط للمستقبل البعيد، ولم يكن ينظر إلى الهزيمة العسكرية، وإنما نظر إلى تغيير المسار الفكري والثقافي للأمة الإسلامية، وذلك هو ما

---

١ – مدينة المعاجز للبحراني ج4 ص52.

٢– الاحتجاج للطبرسي ج2 ص34.

٣– بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص367.

٤– الأخلاق الحسينية لجعفر البياتي ص42.

أدّى أن تهتف الدنيا باسمه طوال السنين، وأصبح رمزاً للتضحية والفداء والبطولة والإصلاح الفكري والاجتماعي. غير أنّ ما يهمنا في عاشوراء مجموعة من الأمور يتجدد بها الخطاب الحسيني ويُؤثر تأثيراً كبيراً:

الأول : التركيز على أهداف الثورة الحسينية.

انطلقت ثورة الإمام الحسين عليه السلام وفق أهداف واضحة مخطط لها من أجل الوصول إلى غايات سامية سعى الإمام عليه السلام إلى تحقيقها، و يتجلى هذا الأمر بوضوح في رسائله وكلماته عليه السلام التي بعثها إلى مجموعة من الناس في البصرة والكوفة وأماكن أخرى بيّنَ فيها أهداف خروجه، وجعل في مقدمتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسير بسيرة جده وأبيه هذا التركيز على نهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تحقيق العدل ومناهضة الظلم بشتى صوره ، وحث الناس على الارتباط بأئمة أهل البيت عليهم السلام لأنّه استمرار للنبوة في القيادة السياسية للمجتمع الإسلامي. وأهداف أخرى ذكرها الإمام عليه السلام في كربلاء وفي بعض رسائله المتعددة وكلماته التي وجهها إلى أصحابه، ينبغي للخطيب الحسيني أن يُركز عليها، لكونها أهداف وقيم عُليا ومبادئ سامية تسعى البشرية إلى تحقيقها للوصول إلى العدل والحرية التي تطمح إليها من خلال الثورات والحركات التصحيحية التي تقوم بها الشعوب والأمم. لذا، تقع على الخطباء مسؤولية كبيرة في طرح هذا المنهج الذي أكده إمامنا الحسين عليه السلام على أساس أنه المنهج الحضاري في الفكر الإسلامي الذي يتسم بصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان.

الثاني: التركيز على الجانب العاطفي من الثورة.

يخطئ بعض الناس عندما يتصور أنّ منهج أهل البيت عليهم السلام يُركز على جانب العِبْرة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام فقط ويُقلل من شأن العَبْرة ؛ لأننا نجد تركيزاً في فكرهم عليهم السلام على كلا الجانبين لإيجاد توازن بين العِبْرة والعَبْرة .فكثير من المرويات الصحيحة عنهم عليهم السلام ركزت على البكاء والتأثر بما جرى على الإمام الحسين وأهل بيته عليه وعليهم السلام.

وقد مارس هذا الدور بعض الأنبياء والرسل لإرجاع الحق إلى نصابه ، حكي القرآن الكريم قصة بكاء يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف عندما ظُلم، قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(يوسف ٨٤) أي أعرض يعقوب عليه السلام عن أولاده ولجأ إلى المعارضة السلمية من خلال البكاء للاحتجاج على ممارستهم الخاطئة وظلمهم ليوسف عليه السلام . كذلك ممارستنا للبكاء والتأثر بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام نابعة من مناهضتنا للظلم من جهة ، واتباعاً للروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام التي تحثنا على البكاء وإحياء ذكرى عاشوراء

بما يتناسب مع الفاجعة الكبيرة من جهة أخرى.

الثالث : طرح البحوث والمحاضرات المفيدة.

تمتاز أيام عاشوراء بالحضور الكثيف والفاعل من الناس فيها خصوصا من المثقفين والطبقة الراقية علمياً من أبناء المجتمع ، الذين يُسجلون حضوراً رائعاً وفعّالاً في المجالس الحسينية ، ويتطلب ذلك من الخطباء تحديث المحاضرات والبحوث التي يطرحونها بما يتناسب مع المستوى الثقافي للحاضرين ، ويتناسب أيضاً مع النقلة الحضارية والثقافية والسياسية التي يُعايشها مجتمعنا في الوقت الحاضر. لذا يحتاج الخطيب البارع أن يُنوّع في المحاضرات التي يُلقيها مع ملاحظة المستوى الثقافي والاجتماعي للمنطقة التي يُحاضر فيها ، وأفضل طريقة لتحقيق المستوى المنشود هو أن يُشارك المثقفون وعامة الناس من كل منطقة الخطيب في اختيار المواضيع التي تتناسب مع منطقتهم لكونهم أكثر إطلاعاً من غيرهم على متطلبات منطقتهم الثقافية وسيُؤدي ذلك إلى تحقيق أفضل النتائج في إثراء المتلقي فكرياً ورفع مستوى المنطقة ثقافياً. هذا الأسلوب الراقي في تبادل الخبرات والتجارب بين الخطيب والمتلقي يُوجد نوعاً من التواصل والترابط الثقافي ينعكس على ارتقاء المجتمع فكرياً والإبداع والتجديد في حركة المنبر الحسيني وخطبائه.

الرابع : التنظيم ومراعاة المسائل الأمنية .

ينبغي لنا عندما نشارك في إحياء الشعائر الحسينية ، اقتداءً بالأئمة عليهم السلام أن نلتفت إلى مسألة التنظيم في كل ما يرتبط بإحياء الشعائر من دخولنا المجالس الحسينية والمحافظة على الهدوء والإصغاء للخطيب ،ونؤكد هنا على خروج النساء إلى هذه المجالس المقدسة بكامل حجابهن وزيهن الإسلامي الذي يُعبر عن اقتدائهن بالسيدة زينب عليها السلام فقد كانت بكامل حجابها وحشمتها رغم الأحداث التي ألمت والظروف الصعبة التي واجهتها. إن الاهتمام بالنظام يعكس تمسكنا بوصايا الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام حيث قال لهما: (أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله ونظم أمركم)[٥] لأن النظام يجذب الآخرين لنا ويُعطيهم صورة حسنة عن مذهبنا وثقافتنا الرائعة المستقاة من أهل البيت عليهم السلام ، كما ينبغي أن لا ننسى التأكيد على الحفاظ على الجانب الأمني حتى لا يتعرض المؤمنون لبعض التصرفات الخاطئة من لدُن بعض المتطرفين.

٥- بحار الانوار للمجلسي ج42 ص256.

مسارات في فكر النهضة الحسينية

قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ صدق الله العلي العظيم.

اليقظة في ضمير الأمة.

مَثلّت ثورة إمامنا الحسين عليه السلام مُنعطفاً في التاريخ الإسلامي بما تميّزت به من أحداث كان لها الأثر الكبير في تغيير مسار التاريخ الإنساني ، لأن الأمة قبل قيام الإمام الحسين عليه السلام كانت بحاجة إلى استنهاضٍ لضميرها الميت ، وكان الإمام عليه السلام –ضمير الأمة النابض بالحيوية – يُدرك أنّ الدماء الزكية هي القادرة على استنهاض ذلك الضمير الميت ، وبالفعل حدّد الإمام عليه السلام المسارات العامة التي سوف يتحرك في إطارها من خلال كلماته التي أطلقها:

المسار الأول: تأصيل ثقافة الشهادة

تحتاج الأمة إلى دم زكي ، يحافظ على منجزاتها ومكتسباتها من جهة، ويردع الطغاة والبغاة – الذين لا يرون قدسية للإسلام ولا كرامة للمسلمين – من جهة أخرى ، ولذلك نجد الإمام عليه السلام يُبين مُفصحاً عن هذا المسار بقوله : (إني لا أرى الموتَ إلا سعادةً والحياةَ مع الظالمين إلا بَرَماً)[٦]، الموت يُمثل استشهاداً في سبيل الله يمنح الإنسان البقاء والحفظ والذكر في الحياة الدنيوية وفي عوالم الغيب بأروع الصور التي يطمح الإنسان للوصول إليها عند الباري تعالى.

ثمن الشهادة:

أليس المسلمُ يُريدُ أن يَصلَ إلى رضوان الله ؟ هذا الرضوان يتحقق من خلال الشهادة ، والإمام عليه السلام يريد لكل المسلمين في كل عَصرٍ ومِصر أن يُحافظوا على كرامتهم وعزتهم عندما يُجَابَهُون بالخُطوبِ المدلهمة ، وذلك من خلال مبدأ الشهادة ، الذي يُمثّل البَلسَم الشافي للجروح غير القابلة للشفاء .

٦- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص192.

صفة الموت والحياة.

يرى الإمام الحسين عليه السلام أن الموت استشهاد في سبيل الله ، واعتبر الحياة مع الظالمين موتاً وبرماً، و قد جسد هذا المعنى أبوه أمير المؤمنين عليه السلام في كلمته الخالدة في صفين عندما قال: (فالموتُ في حياتكم مقهورين والحياةُ في موتكم قاهرين)[٧] يُريد الإمام عليه السلام للأمة الإسلامية أن تكون أمةً عزيزةً ، ولا يتسنى لها ذلك إلا من خلال السيادة المطلقة لمبادئ الإسلام وقوانينه التي يخضع لها جميع المسلمين.

صدى خطاب الإمام عليه السلام.

الإمام الحسين عليه السلام في كل مفردة من المفردات التي تحدث بها كان يُبين مَعْلَماً واضِحاً ويَرسِمُ مَساراً نَيّراً للأجيال المتعاقبة عبر التاريخ الإنساني ليس للمسلمين فحسب ، وإنما التركيز بالذات على الأمة الإسلامية .

المسار الثاني : التحرك نحو الشهادة .

ويُعطي الإمام عليه السلام درساً آخر في حواره مع عمرو بن لوذان الذي قال (...فوالله ما تُقدِمُ إلا على الأسِنَة وحَدِ السيوف) أي أنهم يُريدون قتلك يا أبا عبد الله، فرد عليه عليه السلام بكلمات في غاية الجمال والروعة قال فيها (والله لا يَدَعُوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي)[٨] يُركز الإمام عليه السلام في كلمته على مبدأ في غاية الأهمية وهو أنّ من لا يدنو نحو الشهادة ولا يتحرك نحو هذا المبدأ العظيم فإنه سيموت ذليلاً مُهاناً مُستصغراً، أما الشعوب والأمم التي تُقَدِمُ شهداء وقرابين في سبيل الله ،للحفاظ على كرامتها فإنها تدفع الثمن الأقل وتأخذ النصيب الأوفر، ولذلك أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يُبين لعمرو بن لوذان أنه إذا لم ينهض ويتحرك ضد هؤلاء الظالمين الطغاة فإنهم سوف ينتهكون حرمته ويقتلونه.

المسار الثالث: التركيز على عزة وكرامة الأمة .

ركّز الإمام الحسين عليه السلام على مبدأ العزة والكرامة للأمة الإسلامية ، قال: (لا والله إني لا أُعطِيكُم بَيدِي إعطاءَ الذليل ولا أَقِرُ لكُم إقرارَ العَبيد)[٩] أي أنه عليه السلام لا يُريد للمسلم أن يكون

٨

٧- نهج البلاغة –خطب الإمام علي عليه السلام- ج1 ص100.

٨- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص375.

٩- بحار الأنوار للمجلسي ج45 ص7.

ذليلاً حتى عندما يُخَاطِبُ أعتا الطغاة ، بل يُريدهُ أن يكون عزيزاً مُهاب الجانب ،له شخصيته المحترمة ،ليس كفرد وإنما لكونه يُمثل كياناً يُرادُ له أن يكون أمةً كريمةً وعزيزةً ، وليست أُمةً مُهانةً ومُتشرذمةً ، يعبث بها الطغاة كيفما شاؤوا.

شرط العزة والكرامة:

استمد النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام هذا المبدأ من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾. وورد في الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام: (إنّ الله فوض إلى المؤمن أَمرَهُ كُلَّهُ ولم يُفُوض إليه أن يكون ذليلاً[1])، وقد ركّز الأئمة عليهم السلام هذا المبدأ في ضمير الأمة الإسلامية من خلال القيادات الصالحة التي جسدها العلماء الأعلام عبر تاريخنا الإمامي الطويل. والأئمة عليهم السلام والعلماء يُمثلون ضمير الأمة ويَدعُون الناس إلى الاستشهاد عندما تكون الشهادة هي الفيصل بين الحق والباطل، وذلك ما قام به الإمام الحسين عليه السلام ،لأنّ الأمة في عصره وصلت إلى مهوى سحيق في الرذيلة وعدم الانصياع للحق ، وقد تجلى ذلك بوضوح في كلام يزيد الذي أراد به نفي شريعة الإسلام فقال:

لَعِبَت هَاشمٌ بالملك فلا خَبَرٌ جَاءَ ولا وَحيٌ نَزَل[1]

كلام في غاية الخطورة يُواجه الأُسس العقدية للأمة ، فأراد الإمام عليه السلام أن يضع حداً لهذا الهذيان والباطل ، وهو ما أفصح عنه عليه السلام في كلمته الرائعة (ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به والباطلَ لا يُتناهى عنه ، لِيَرغَبَ المؤمنُ في لقاءِ اللهِ)[1]، أي أنه عندما يكون هرَمُ السُلطة لا يرى قُدسيةً لمبادئ الإسلام ، بل يرى أنّ المبادئ العقدية تُمثل أكاذيب جاء بها النبي ﷺ فماذا سيبقى من الإسلام ؟

المسار الرابع : المشيئة الإلهية تحكم الأشياء .

على المسلم أن يقف بعزم وثبات كي ينصر مبادئ الإسلام ، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وصحبه الأبرار ، مع علمه أنّ التضحية جسيمة وكبيرة، وفيها انتهاك لكل القيم السماوية والقوانين الوضعية بل لكل المبادئ الإنسانية ، لكنّها قليلة مادامت في سبيل الله ، لذلك ،

١- بحار الأنوار للمجلسي ج64 ص72.

١- تاريخ الطبري ج8 ص188.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص192.

عندما قال بعض الناصحين للإمام: فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على هذا الحال؟ قال عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي: (إن الله قد شَاءَ أن يَراهُنّ سَبايَا)[1]، وهو بهذه الكلمات[3] يعطي – للأجيال – درساً عملياً في التوكل على الله وتقديم المشيئة الإلهية على كل الأشياء.

دور الإنسان الرسالي:

يُقَدّم الإنسان – بطبيعته – نفسه في سبيل بقاء ولدهِ وعائلته، ولكنه لا يضحي بعائلته وولِدهِ ،لأنهم يُمثلون له الخلود والاستمرار لحياته .والإمام عليه السلام أراد أن يُبرهن – بدرس عملي رائع – على أنّ الإنسان مهما يُقدّم من تضحيات في سبيل الله تعالى فهي قليلة وضئيلة ، وهذا ما أبانته العقيلة زينب عليها السلام عندما استُشهِدَ الإمام الحسين عليه السلام قائلة ((اللهم تقبل منا هذا القربان)) يريد الأئمة من أهل البيتْ عليهم السلام الحفاظ علىٰ كرامة الأمة وعزتها ، وليس لديهم أي طمع في جاهٍ أو مالٍ أو أي أمر آخر، كما يصور ذلك البعض ، لأن الإمام عليه السلام ومنذ اليوم الأول لنهضته كان يعلم بأنّ مصيره القتل لكنه كان يرى القتل عزة وكرامة لكل المسلمين عبر الأجيال المتعاقبة لتاريخهم.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص364.

١ حياة الامام الحسين للقرشي ج 2 ص 302

العزة والكرامة في النهج الحسيني

قال الله ﷻ في القرآن الكريم : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون/8] صدق الله العلي العظيم .

أهمية العزة والكرامة في الشرائع السماوية.

تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام ذكرى عاشوراء الأليمة، التي تمثل العزة والكرامة، إن أيام محرم وصفر كلها أيام عِزَّة وكرامة وشرف للإنسانية، لكننا سنبحث وإياكم من خلال هذه الذكرى عن درس قرآني جسده الإمام الحسين عليه السلام في تضحيته وفدائه ، هو درس الكرامة والعزة، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون/8]، وأكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران/39]. من هنا لا بد من التأكيد على أنّ النفس الإنسانية تتكون من جنبتين: مادية وروحية، ويريد الإسلام للجنبة الروحية أن تحيا بعزة وكرامة، لأنّها تجسد الوجود المعنوي للإنسان، وما ورد من النواهي في الشريعة الإسلامية، والشرائع السماوية الأخرى هو لصيانة روح الإنسان من أن تُدَنَّس بالآثام أو تخلد إلى الأرض.

أهمية العزة والكرامة في روايات أهل البيت عليهم السلام .

يجد المتتبع لروايات أهل البيت عليهم السلام في توجيهاتهم تركيزًا كبيراً على الجنبة الروحية للإنسان؛ ويمكننا أن نصنف الروايات إلى ثلاثة أصناف:

الأول: ما يؤكد على أنّ الدين والخُلق توأم العزة.

ونجد هذا المعنى جلياً في قول إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : {لا دين لمن لا مروءة له ولا مروءة لمن لا عقل له} ، وأيضاً في كلام إمامنا الهادي عليه السلام: {من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره} ، أي أنّ من يعيش الذلة من الناحية المعنوية، سيكون مستعداً للقيام بكل عمل يُدنس به شرفه، وشرف المجتمع الذي يعيش في وسطه، أما من يمتلك الشهامة والمروءة والعزة لنفسه فلن يرتكب ما يُدنس شرفه وكرامته، فضلاً عن شرف الوسط الذي يعيش فيه.

١- ميزان الحكمة للريشهري ج4 ص2883.

١- ميزان الحكمة للريشهري ج2 ص982.

الثاني: ما يؤكد أنّ العزة سلم للمراتب العالية.

أكد أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة على هذا المعنى فقال: {قدر الرجل على قدر همته، وصِدقِهِ على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته و عفته على قدر غيرته} . المراد من الرجل هو الإنسان الأعم من الرجل والمرأة، وتشير الرواية إلى أنّ الإنسان في وصوله إلى المراتب العالية يرتكز على قدر طموحاته التي يحملها بين جنبيه. وتُركز الرواية أيضاً على أنّ الصدق الذي يتمتع به الإنسان في حياته يرتبط قولاً وعملاً بقدر مروءته. والمراد بالمروءة هو شرف النفس والروح، الذي يتطلب من الإنسان السعي الحثيث كي يصل بروحه إلى الطهارة والشفافية بنحو دائم.

وتضيف الرواية معنى يرتبط بما نحن فيه، وهو أنّ عفة الإنسان على قدر غيرته، فبقدر ما يكون غيورًا على أهله يكون عفيفًا؛ فإن كان لديه غيرة على شرفه فلن يتعدى على شرف الآخرين، أما إذا ذهبت غيرته فله استعداد في ارتكاب أي محظور يُدنس به شرف الآخرين، وهذه الحقيقة أكد عليها في قوله (ع): {وعفته على قدر غيرته} .

الثالث: ما يربط بين الذل وضعف الجانب الروحي.

ونجد هذا المعنى بوضوح في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن الزكي عليه السلام حيث قال: {وأكرم نفسك عن كل دنية، وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عِوَضًا} ، يريد عليه السلام من هذه الوصية أن ينبه البشرية جمعاء إلى أهمية مجاهدة النفس في كل أمرٍ من الأمور التي تدنس الشرف مجاهدةً جادة، لأنّ العثرات والسقطات البسيطة تُقلل من مستوى الإنسان وتُدنس شرفه المعنوي، وتؤدي إلى اتصاف روحه بالرذيلة، وبالتالي، سيضعف الجانب المعنوي لديه، ومن الصعوبة بمكان أن يرجع بعد ذلك إلى المستوى الذي وصل إليه سابقاً.

العزة والكرامة في نهج الإمام الحسين عليه السلام:

جسّد الإمام الحسين عليه السلام مبادئ العزة والكرامة قولاً وعملاً، وتجلى ذلك في الشعارات التي صدرت منه عليه السلام، والتي تحفظ كرامة الإنسان وعزته في إطار الفرد أو المجتمع، من أهم الشعارات قوله: {الموت خير من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار} ، يبين الإمام عليه السلام على أنّ موت

١- نهج البلاغة –خطب الإمام علي (ع)- ج4 ص13.

١- نهج البلاغة –خطب الإمام علي (ع)- ج4 ص13.

١- نهج البلاغة –خطب الإمام علي (ع)- ج3 ص51.

٢- ميزان الحكمة للريشهري ج2 ص982.

الإنسان أولى من أن يُعيره المجتمع بشيء، وأنّ النظر إليه كوضيع أولى من أن يرتكب ما يؤدي إلى دخوله نار جهنم. وقد ورد هذا المضمون في كلمات سيد الشهداء عليه السلام حين قال:{ إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً } . فهو عليه السلام يريد للمجتمع الذي يعيش فيه أن يحيا[2] حياة العزة والكرامة، ليس على مستوى الفرد فحسب، بل على مستوى المجتمع أيضاً، لذا كانت تضحية الإمام الحسين عليه السلام تصب في الجانب الروحي لوجود الإنسان. وكان الهدف منها الحفاظ على تلك الجنبة المعنوية للإنسان، ووقايتها من السقوط في وَحل الذل والمهانة، إذْ من السهل على كثير من الجبابرة المتغطرسين أن يشتروا شرف بعض الناس وكرامتهم وعزتهم بعد سقوطهم في مهاوي الذلة.

نموذج تاريخي للسقوط في مهاوي الذلة .

حدثنا التاريخ عن شخصيات سقطت في مهاوي الذُل بسبب تنازلها عن مبادئ العزة، منها شخصية دعاها أحد الخلفاء المتجبرين، وطلب أن يُساومها، ليس على وجودها، وإنما على شرفها وعزتها، فلما أحضرت، قال لها: بماذا تفدي مولاك الخليفة ؟ فقال الرجل : أفديه بنفسي. عند ذلك تركه، وأمره بالانصراف. ولما مضت فترة زمنية طلبه مرة ثانية، وقال له: بماذا تفدي مولاك الخليفة ؟ فقال: أفديه بنفسي ومالي، ثم أمره بالانصراف، وقال له: اذهب مالنا حاجة فيك، وبعد مرور فترة وجيزة استدعاه ثالثة، وسأله نفس السؤال، فأجاب الرجل: أفديه بنفسي ومالي وأهلي، حينها، طرده وأمره بالخروج، وبعد ذلك، استدعاه، وسأله نفس ذلك السؤال، فقال الرجل: أفدي الخليفة، بنفسي ومالي وأهلي وشرفي وديني. حينها، رضي عنه الخليفة، لأنه كان ينتظر منه هذا الجواب من أول الأمر.

الإمام الحسين يعطي أروع الدروس في العزة.

يريد الجبابرة من الإنسان أن ينسلخ عن جانبه المعنوي وعن عزته وكرامته، وبذلك يكون المجتمع تحت سيطرتهم التامة وسلطتهم فيحققون رغباتهم وأهواءهم. لكن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يُفوّت عليهم هذه الفرصة من خلال تنبيه المجتمع إلى أنّ الإنسان يمكنه التنازل عن كثير من الأمور التي يحتاجها، لكنه لا يمكنه التنازل عن شرفه وكرامته وعزته، لأنها الجزء الهام من حياته كفرد والأهم من حياته كأحد لبنات المجتمع .

٢- ميزان الحكمة للريشهري ج2 ص1515.

الثورة الحسينية التطبيق الكامل للإسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ‹‹حسين مني وأنا من حسين›› [٢].

تنوع النصوص في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

الأحاديث الواردة في أهل البيت عليهم السلام كثيرة ومتعددة، وكل منها يشير إلى معنىً من المعاني، بعضها يبين أنّ النجاة لا تتحقق إلاّ بالسير في مسارهم عليهم السلام كقوله صلى الله عليه وآله: ‹‹إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، ومثل ***باب حطة من دخله نجا*** ومن لم يدخله هلك›› [ ] وبعضها تتحدث عن اقتران أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم كحديث الثقلين، ومعناه أنهم القرآن الناطق والتطبيق السليم والصحيح لآياته، أي كما أنّ النبي صلى الله عليه وآله خلقه القرآن بمعنى أنه يجسد آياته في أخلاقه، كذلك أهل البيت عليهم السلام هم التطبيق الصحيح لآيات القرآن في كل ميادين الحياة، وبعضها يفصح عن عصمتهم وكونهم مع الحق في أي موقف يقفونه كقوله صلى الله عليه وآله: ‹‹علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار›› [ ]، يبين الحديث أنّ الإمام عليه السلام لن يفترق عن الحق وأنّ الحق لن يفترق عنه عليه السلام ، هناك توأمية بين الحق وعلي عليه السلام وبين علي والحق، وبعضها يشير إلى الخلافة للنبي صلى الله عليه وآله كحديث الغدير.

الحسين استمرار بقاء الإسلام.

الحديث الذي استفتحنا به رواه الحاكم النيسابوري في صحيحه وصححه [ ]، ويبين الحديث أنّ الحسين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله إذا جعلنا "من" للتبعيض أي أنه جزء من مشروع الرسول صلى الله عليه وآله، أما لو كانت "من" بيانية فمعناه أنّ الحسين عليه السلام هو التطبيق العملي للرسول صلى الله عليه وآله، ولعل المعنى الثاني أقرب وذلك من خلال "وأنا من حسين" إذْ أنّ معناه أنّ بقاء الرسالة واستمرار الإسلام يرتبط جذرياً بالحسين عليه السلام.

---

٢ – ميزان الحكمة للريشهري ج1 ص158.

٢ – بحار الأنوار للمجلسي ج23 ص105.

٢ – ميزان الحكمة للريشهري ج1 ص138.

٢ – في المستدرك للنيسابوري ج3 ص177 قال: (هذا حديث صحيح الاسناد).

مسؤولية الإمام الحسين تجاه الأمة.

إذن كل حديث من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله فيهم عليهم السلام يفصح عن جانب محدد ويبين معنىً يريد النبي صلى الله عليه وآله للأمة أن تستوعبه، من هنا كان فعل أهل البيت عليهم السلام يبرز حقيقة الإسلام ومن تلكم الأفعال الهامة ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لها أبعاد كثيرة منها: المسؤولية العامة وما يعبر عنه بمسؤولية الأمة تجاه ما يمر بها من أحداث، فهناك أحداث تمر في كل عصر وعلى كل مصر من الأمصار، والأحداث التي تمر لابد أن يكون للأمة تجاهها مسؤولية، إذْ أنّ بعضها لا يمكن أن يتغاضى عنها، ولا يكون للأمة موقف بإزائها، فالأحداث الجسام لابد أن يكون للأمة موقف منها، ومن تلك الأحداث الجسام ما عبر عنه الفقهاء بالتعرض للإسلام من أعدائهم سواءً أكان العدو داخلياً أو خارجياً بنحو يمس حقيقة الإسلام فيجب حينئذ على المسلمين جميعاً الذود عن الإسلام، والوجوب مسؤولية الأمة جمعاء، ولا يمكن لبعض أفرادها أن يتنصل عن مسؤوليته.

موقف الإمام الحسين عليه السلام من السلطة.

ذلك ما ينطبق على موقف الحسين عليه السلام تجاه حكومة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الموقف موقف المسؤولية أي أنه لا يمكن للإمام الحسين عليه السلام إمام الأمة الذي يجسد مرجعيتها الدينية أن لا يبالي بحكومته بعد أن أفصح عن نواياه بقوله:

لَعِبَت هاشمٌ بالملك فلا خَبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نَزَل [٢]

إنّ ما جاء من أبياتٍ على لسانه يعبر عن أنّ الدين أكذوبة لم ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وحي، وإذا كان المسؤول الأول وهرم السلطة يعبر عن الدين بأنه خرافة، فيتعين أن يكون الموقف الشرعي من الأمة هو الوقوف تجاهه، فإنّ من يدير دفة الأمور، وبيده الحل والعقد، ويعلن بملء فيه أنّ الدين أكذوبة لم يُنزل على محمد ص لا يمكن أن يسكت عنه، من هنا كان موقف الحسين عليه السلام موقف المسؤولية ليضع النقاط على الحروف ويبين للأمة أنه لا مجال للمداراة والسكوت مع من يعلن إنكار رسالة السماء.

الإمام الحسين عليه السلام يواجه شرعنة الظلم.

وبعد أن أعلن الإمام الحسين عليه السلام ثورته تغير مسار التأريخ، ولم يجرُأ أي خليفة وسلطان للمسلمين أن ينكر الإسلام ويقول بأنه ليس بدين سماوي، وأنّه أكذوبة لعب بها النبي صلى الله عليه وآله على أمته فاختلق هذا الدين كما قال يزيد على مرأى ومسمع من المسلمين، إنّ الإمام الحسين

٢ – الاحتجاج للطبرسي ج2 ص34.

عليه السلام أصبح فيصلاً وحاجزاً يمنع من التلاعب بالشريعة من لدن السلاطين، ويمنع عن تأثر الناس بذلك، إذْ أنّ الناس على دين ملوكهم، وقد سار المنهج الأموي على تقعيد إطاعة السلطان وأنها من الدين حتى وإنْ كان السلطان ظالماً فيجب أن يطاع ولو ضرب بطنك وظهرك، إنّ الناس قد تتقبل هذا النحو من الظلم مع أنه غير عقلائي، غير أنّ الناس يمكنها أن تتماشى وإياه، أما القول بأنّ القرآن أكذوبة، وأنّ رسالة السماء مختلقة فذلك شيء لا يمكن أن يقف الإمام الحسين عليه السلام بإزائه مكتوف اليدين، بل لابد أن يضحي بنفسه.

الإعلام الحر في عصر الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ ما نُسب للإمام الحسين عليه السلام ـ إن كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي فيا سيوف خذيني ـ يشير إلى تحمله للمسؤولية بكل أبعادها وإرادته أن يبقى الدين جذوة مشتعلة في نفس المسلم وإنْ تَطَّلب ذلك أن يُضحي بنفسه في سبيل الله تعالى، وهذه مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام فإنه جسّد ذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات:24)، غير أنّ المسؤولية التي جسدها الإمام عليه السلام لم تكن في وقوفه أمام المد الجارف لإنكار الشريعة من يزيد الذي مثّل الطغيان أكثر من غيره من الأمويين إذْ لم يجرأ أحد منهم قبله أن يقول ذلك علانية، نعم؛ أرسوا مبادئ الحكم الدكتاتوري فأعلنوا أنّ الأمر والنهي وجميع الأمور بيد السلطان وما شاء أن يفعل فعل، وما شاء أن يدع ترك، وقاموا بتخدير الأمة بحيث لم تستطع أن تقاوم السلطات، ولم يكن هناك إعلام حر مفتوح يستطيع أن يناقش تلك السلطة الظالمة إلاّ بنحو يسير من لدن بعض الشعراء الأحرار، لذا ما كان أمام الحسين عليه السلام غير أن يقف ذلك الموقف البطولي الذي تُعجب منه، إذْ كيف يضحي بنفسه مع علمه بأنّ نساءه ستكون أسارى تلاقي أقسى وأبشع أنواع الذل والهوان غير أنه قَبِلَ ذلك في سبيل الحق من أجل الإسلام.

موقف المؤمن تجاه الحدث المعاش.

على المسلم أن يلتفت إلى هذا الأمر، فلا يقف تجاه الأحداث الجسام غير مبالٍ، بل عليه أن يعي المسؤولية الملقاة على عاتقه، وإنْ اقتضى أن يقدم نفسه قرباناً للشريعة، هذا هو الموقف الشرعي عندما يتعرض الإسلام لخطر، فإنّ الدفاع والذود عن مبادئه واجب الأمة ولا قيمة للمرء إذا لم يعي مسؤوليته.

الإمام الحسين عليه السلام يدفع الأمة نحو المسؤولية.

إنّ مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام لم تكن في الجانب الكبير الذي أوضحناه فحسب، بل جسّد المسؤولية في كل المفردات الأخرى، فلم ينطلق بالأمة كانطلاقة بعض السياسيين من المصلحيين البرغماتيين، بل أوضح أهدافه فكانت كالشمس في رابعة النهار، ومنذ بدء حركته بيّن أنه سيتعرض للقتل هو ومن معه، ومن أراد أن يتبعه في هذا المسار سوف ينال الشهادة في سبيل الله تعالى، ‹‹من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح›› [1] أي أنه لا خيار لمعالجة الوضع المتردي للأمة غير[2] الاستشهاد والتضحية في سبيل الله تعالى، فلم يخدع أحداً ولم يقل للناس أنه سينتصر بل أعلن بوضوح تام أنّ همه ليس كسب المعركة بل تجسيد وتطبيق لشريعة الإسلام ومفاهيمها، وقد اقتدى بجده المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله: "قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا" [2] فكان يبين أنّ الظروف[3] إنْ واتته وانتصر كما انتصر جده المصطفى صلى الله عليه وآله فذلك نعمة من الله تعالى، وإنْ عاكسته وأصبحت ضده كما كان الحال عليه مع كثير من أنبياء الله ورسله كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فقد تعرضوا لأقسى الابتلاءات، كما تحدث عنهم القرآن، فإبراهيم عليه السلام بقيت معه ثلة قليلة من أصحابه، نعم؛ تغيرت الأجيال فأصبحت كل أمة من بعده تدعي أنها الأقرب إليه عليه السلام.

استشرف الحسين عليه السلام آفاق المستقبل وأراد أن تتيح الظروف الموضوعية للناس الالتفات إلى مسؤولياتهم تجاه الأحداث التي تمر بهم، فيقفوا الموقف الشرعي ليكونوا مع الحق ومع الحسين عليه السلام ليس بالعاطفة فحسب بل بالعمل الرسالي، والتقبل طواعية للدفاع عن الإسلام وعدم التواني في ذلك.

المسؤولية عند أصحاب الحسين عليه السلام.

هناك ثلة في كل أمة تصل إلى القمة في وعيها وإدراكها لمسؤولياتها وفهم الأحداث والملابسات التي تمر عليها، وقد كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يجسدون قمة الوعي إذْ أنهم جاؤوا من تلقاء أنفسهم، ولم يؤثر عليهم إعلام أو طمع بأن يحصلوا على شيء من حطام الدنيا، بل كانت الظروف معاكسة لهم وكان الإمام الحسين عليه السلام إلى آخر لحظة يقول لهم: ‹‹وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً›› غير أنّ كل واحد منهم[4] كان في غاية الاستبسال والإدراك لمسؤوليته التأريخية والعقدية والأخلاقية تجاه ما تمر به الأمة من أحداث، ولم ينقل التأريخ عن أحدٍ منهم أنه ترك الحسين عليه السلام

٢- بحار الانوار للمجلسي ج45 ص87.

٢- ميزان الحكمة للريشهري ج4 ص3007.

٢- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص316.

، نعم؛ قبل أن يصل بعضهم إلى كربلاء علم أنّ الهدف هو الله تعالى فترك الحسين عليه السلام أما النخبة التي وصلت معه ع فقد استشهدت في سبيل الإسلام، إنهم علموا أنّها مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام التأريخية لتغيير واقع الأمة عبر الأحقاب المستقبلية التي ستأتي.

الحسين عليه السلام تجسيد الأخلاق الإسلامية.

لم يستدرج الإمام الحسين عليه السلام بعض من حاربه بوعده له بالنصر كما يفعل الإعلام الكاذب في عصرنا فترى أنّ كلا طرفي المعركة يتحدث عن الغلبة على الطرف الآخر ويكذب كل من الطرفين على الآخر بينما كان الإمام ع في نهاية الصدق والحقانية لعلمه بمسؤوليته وتجسيده لأخلاق الإسلام، فهو عليه السلام التجسيد الكامل، ومن نظر إليه وعى الأبعاد الكبيرة والعظيمة التي أشار إليها المصطفى ص في شخصيته عليه السلام قال صلى الله عليه وآله: ‹‹الحسن والحسين إمامان قاما أو قعداً›› ليبين إمامتهما عليهما السلام ويريد للأمة أن تأتمر بأمره لأنّ أمره الرشد ووصيته التقوى وفعله الخير كما جاء في الزيارة الجامعة ‹‹وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمْ التَّقْوى وَفِعْلُكُمْ الخَيْرُ›› [1]، وكل مفاهيم الإسلام ومكارم الخلق وما يريده القرآن من البشرية جمعاء جسده الحسين عليه السلام على أرض الواقع.

الحسين عليه السلام يتصدى لمسؤوليته تجاه الأمة.

وقف الإمام عليه السلام أمام المد الإلحادي الذي كاد أن يستشري في الأمة وينسف جهود المصطفى صلى الله عليه وآله، فأوضح عليه السلام مواقفه تجاه أنصاره ولم يكن يريد استيعاب السواد الأعظم من الناس بأي نحوٍ كان لذا قال أنه سيقتل ‹‹كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء›› وأنّ المسألة استشهاد في سبيل الله تعالى من أجل الدّين[2]، وهو من رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله منه ‹‹حسين مني وأنا من حسين›› [3]، ليس هذا فحسب، فلا تعدي في دفاعه للأعداء فلم يبدأهم بقتال وما كان يظهر شماتة بمن قُتل أو ينتهك قوانين الإسلام كما كان الطرف الآخر الذي قتل الحسين عليه السلام وتعدى على الأطفال وحرق المخيمات ورض صدر الحسين عليه السلام وانتهك كل قوانين الحرب والإنسانية، فالاعتداء على الأطفال وحرق المخيمات وسبي النساء من الجرائم البشعة التي تشجب بغض النظر عمَّن مورست في حقه حتى وإن اختلف معك في الدين فإنّ ذلك جرم غير مبرر.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج43 ص291.

٢- بحار الأنوار للمجلسي ج99 ص132.

٣ بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص367.

٣ ميزان الحكمة للريشهري ج1 ص158.

الثورة الحسينية تطبيق الشريعة الإسلامية.

اقتدى أصحاب الحسين عليه السلام به وطبقوا المسؤولية العامة ولم يصدر من أحدٍ منهم تصرف يخالف شريعة المصطفى صلى الله عليه وآله، لأنهم انصهروا في الإسلام وعلموا بأنّ الحسين عليه السلام ينطلق من مبادئه وعرفوا ما أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وآله «حسين مني وأنا من حسين» ، وأنّ ما قاله صلى الله عليه وآله تطبيق سماوي، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم:4)، على الحسين عليه السلام فلا يمكن أن يُخطِئ في تطبيقه للشريعة لأنّه معصوم، وتطبيقه عين ما يريده المصطفى صلى الله عليه وآله، فلا يريد عليه السلام إلاّ الحق، وما أجمل هذه المفاهيم التي اختصرها المصطفى صلى الله عليه وآله بـ «حسين مني وأنا من حسين» .

٣- ميزان الحكمة للريشهري ج1 ص158.

٣- نفس المصدر السابق.

الحسين عليه السلام وتجسيد منهاج الاسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ‹‹حسين مني وأنا من حسين››

لأئمة أهل البيت عليهم السلام أدوار متعددة، غير أنّ الحسين عليه السلام بثورته الخالدة أصبح محطاً لأنظار العالم، ينظر إليه المظلومون والأحرار وكل من يتوق إلى النظام والعدل والحرية وسيادة القانون واحترام الإنسان، فهو أنشودة الأحرار، وملحمة الثوار، والنبراس المضيء طريق الاستقامة والهدى للبشرية جمعاء.

مفردات الارتباط الحسيني بالنبي.

علينا أن نعي ما قاله النبي صلى الله عليه وآله: ‹‹حسين مني وأنا من حسين›› فالحسين من رسول الله[٧] صلى الله عليه وآله لا لبس في ذلك، فهو ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله ، غير أنّ كون النبي من الحسين يحتاج إلى فهم، ويتكئ هذا الفهم على أسس هي: العدل والقانون والحرية واحترام الإنسان ، وسوف نستعرضها تفصيلاً.

الأولى: العدل .

جاء الإسلام لإنقاذ الإنسانية جمعاء – إخراج العباد من ظلم العباد وعبوديتهم إلى العدل وعبودية الحق تعالى – فالإسلام في حقيقته هو العبودية المطلقة لله تعالى، والتسليم لأمره تعالى والسير على منهاج القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(آل عمل ن:19)، والإسلام في جوهره سير على منهاج النبي صلى الله عليه وآله وعلى وفق آي القرآن الكريم غير أنّ كل نظام له روّاده الذين يجسدونه، ويعرفون حيثياته عند الاختلاف في تطبيقاته، ولولا ذلك لأصبح النظام في مهب الريح باعتبار تعدد الاجتهادات؟ والقراءات المختلفة له.

٣- ميزان الحكمة للريشهري ج1 ص158.

٣- نفس المصدر السابق.

اقتران المنهج الإسلامي بالتجسيد.

من هنا أكّد النبي صلى الله عليه وآله هذا المعنى باقتران المنهج الإسلامي بمن يجسده لئلا يصبح ألعوبة بأيدي اللاعبين، وموردا للقراءات المتعددة التي تتنافى مع روحه، كقراءة الخوارج له فهم يدّعون الإسلام، والشعار الذي طرحوه (لا حكم إلا لله) وقد جاءت حكومات ودول كلها تدعي أنها الأفضل والأقرب لتطبيق الإسلام، غير أنّ النبي صلى الله عليه وآله حسم الأمر بحديث الثقلين، قال صلى الله عليه وآله: ‹‹إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا بهما ما إن تمسكتم بهما ، و أنهما ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض›› والحديث يجعل تطبيق القرآن مرتبطاً بالعترة، ويلغي التّطبيقات الأخرى بل يراها بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وحقيقته.

الشخصية المجسدة للمنهج الإسلامي.

أفصح أهل البيت عليهم السلام بأدوارهم المختلفة عن هذه الحقيقة، فعلي عليه السلام عندما رفعت المصاحف في صفين – ومن يرفع المصاحف يدعي أنه يطبق الإسلام ويعمل بالقرآن – قال عليه السلام: ‹‹أنا القرآن الناطق›› أي أنه يجسد الإسلام[٩] بحقانية، وليس معاوية وأصحابه كعلي عليه السلام ، وهذا فارق جوهري وأساسي بين المنهاج الدقيق الذي أكده النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، والأطروحات الأخرى التي لا تلتقي معه بل تتنافى وإياه إذْ نرى أنّ من قتل الحسين عليه السلام لم يترك الصلاة ويدعي الإسلام لكنه يقتل الحسين سيد شباب أهل الجنة، والإمام إن قام أو قعد، بنص النبي على ذلك.

إنّ نهج التظاهر بالدين ومحاربته في الباطن يتنافى مع روح الإسلام، ويتضاد مع حقانية القرآن الكريم، ومن يريد الإسلام عليه أن يتمسك بما أفصح عنه النبي صلى الله عليه وآله بحديث الثقلين، وتحدث عنه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بشيء من البيان والتفصيل.

علي عليه السلام جاهد مكافحاً حتى استشهد في سبيل ربه لبيان حقيقة الإسلام، وأنه الارتباط الوثيق مع الله تعالى، ومع قيم السماء، والالتزام الدقيق بحقوق الإنسان، والانسجام مع القانون، وأنّ الإسلام بتعبير حديث هو القانون والعدل والحرية، هذه هي حقيقة جوهر الإسلام، وما عرفه المسلمون عندما قاتلوا في الصدر الأول وجاهدوا في سبيل الله، وتحدثوا عن أنهم يريدون إخراج العباد من عبودية العباد إلى عبودية الله تعالى.

٣- بحار الأنوار للمجلسي ج5 ص68.

٣- ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ج1 ص214.

الاحتفال بالحسين والقيم الإنسانية.

إنّ احتفائنا واحتفالنا بالحسين، وتكرار اسمه عليه السلام من أجل أنه جسّد العدل الذي لا يريده الطغاة لتنافيه مع مصالحهم، فهم يسحقون كرامة الإنسان، ويضادون المنهاج الإلهي الذي تحدث عنه القرآن، وهو العدل، فكان استشهاد الحسين عليه السلام من أجل العدل، فهو عليه السلام العدل والمحافظة على حقوق الناس وكرامتهم التي بينها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء ٧٠)، ونحن إذْ نحتفل بالحسين ونؤكد ذكره لكونه يمثل قيم السماء ضمن محاور، أهمها العدل الذي لا يريده الجبابرة، لأنهم يريدون التسلط والهيمنة، وفرض منطق الأقوى لا العدل والقانون، أما الإسلام فحقيقته العدل، ومراعاة الحقوق قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة ٨)، حتى مع من يختلف وإياه، ولا يلتئم معه، فإنّ المطلوب ممارسة العدل الذي أكّده القرآن الكريم، والفكر العقدي لمذهب أهل البيت عليهم السلام يرى أنّ العدل أصلاً من أصول الدين يأتي بعد التوحيد مباشرة، والله تعالى عادل في بريته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس:44)، ولا يمكن أن يصدر منه ظلم لعباده، بل يريد لهم العدل مع أنفسهم ومع الناس.

الثانية: القانون.

وفيه سيادة لأحكام الإسلام، فعندما زنت امرأة من ذوات البيوت التي لها مكانة وقدرة في زمن النبي صلى الله عليه وآله، وأراد صلى الله عليه وآله أن يقيم عليها الحدّ، قيل له: يا رسول الله إنها من الأسرة الفلانية، ولها مكنة وشأن، فرفض النبي صلى الله عليه وآله ذلك وشجب هذا المنطق الذي يريد للقانون أن يطبق على الضعفاء فقط. لأنّ القانون له شمول، واستيعاب للجميع، وبيّن النبي صلى الله عليه وآله أنّ أساس انحدار الأمم وسقوط الحضارات هو المنطق الأعوج، بتطبيق القانون على الضعفاء فقط، والأقوياء يتمتعون بحصانة القانون، وإلى يوم الناس هذا تجد أنّ الأقوى له حصانة، وهو فوق القانون، للقوة التي يتمتع بها.

إنّ سيادة القانون هي حقيقة ثورة إمامنا الحسين عليه السلام، وإذا أردنا أن نتحدث عن قيام الإمام الحسين عليه السلام في يوم مولده، فنقول إن حقيقته سيادة القانون.

الثالثة: الحرية.

منطق الجبابرة استضعاف وقهر الآخرين من أجل الهيمنة والنفوذ والمكنة، وتلبيس الحق بالباطل، والأئمة من أهل البيت عليهم السلام مارسوا الحرية في أحلك الظروف، فالحسين مارسها مع الذين جاؤوا لنصرته، قال عليه السلام: ‹‹وأنتم في حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً›› أي أنه عليه السلام لم يرغم أحداً وليس هناك أفصحُ من هذا البيان، فالذي يريد أن ينصر الحق لينطلق من وجدانه، ومبادئه، ولا ينصره بالقهر، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (البقرة ٢٥٦).

إذن ثورة الحسين عليه السلام هي الحرية، التي بها يتاح للناس أن يأخذوا الاتجاه المطلوب على وفق ما يريدون وباختيارهم وحريتهم، والله تعالى جعل الناس أحراراً، أما إرغامهم بالجبر والقسر والإكراه وشراء الذمم والضمائر فمنطق يأباه الإسلام، وهو منطق الجبابرة والمتغطرسين، إنّ أئمة أهل البيت عليه السلام جسدوا الحرية في أحلك الظروف، والإمام الحسين عليه السلام رغم حاجته إلى أنصار لكنه لم يخدع من معه بل بيّن في خطابه لأنصاره أن المسألة تعود إلى الاستشهاد والقتل في سبيل الله، وأنّ من ينصره لن ينل مغنماً مادياً بل ينصر مبادئ السماء ويذود عن قيم الإسلام.

الرابعة: احترام الإنسان.

من مفاهيم الإسلام احترام الإنسان، بغض النظر عن معتقده وفكره، فهو مورد تكريم من لدن الحق تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء ٧٠)، والتكريم لا يمكن أن يسلب من الإنسان، ولم تصل البشرية إلى هذا الفهم العميق إلا عبر سنوات وحروب وإشكاليات متعددة، غير أنّ الإسلام أكد كرامة الإنسان بنحو عام وليس المسلم فحسب قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء ٧٠)، وقال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: ‹‹فإنهم – أي الناس– صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق...›› (ميزان الحكمة: الريشهري) فالإنسان حتى وإن اختلف عقدياً، غير أنه مساوٍ لغيره في الحقوق، ذلك هو منطق السماء، أما منطق أهل الأرض فإنه إذا اختلف الأقوى مع غيره انتهك حرماته، وصادر حريته، وداس كرامته، وتعدى على حقوقه، لعدم إيمانه بمنطق السماء والحسين عليه السلام يجسد منطق السماء وعندما نظر إلى من يريد قتله في يوم عاشوراء تألم وبكى عليهم، ولما سُئل: أتبكي على هؤلاء الذين يريدون قتلك؟ قال عليه السلام: أبكي عليهم لأنهم يدخلون النار بسببي، إنه منطق العقل، وحب

٤- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص316.

الخير حتى للعدو، والحسين عليه السلام يريد لهم الجنة، وأن يكونوا في جوار الحق تعالى، ويصلوا إلى السعادة، ولا يرتكسوا على رؤوسهم في الجحيم.

الحسين والمفاهيم الحقة.

إن الحسين عليه السلام هو التجسيد الحي لمفاهيم الإسلام، وهنا ننبه أنه قد يفعل ذلك بعض في الرخاء ويعطي شيئاً من الحقوق، لكنه ينتهكها في الشدة، أما الأئمة من أهل البيت فإنهم يبينون لنا السير على وفق القانون والانطلاق بمنطلق إنساني، وذلك ليس مسألة ترجع إلى سياسة آنية ومصلحة مؤقتة، بل منطق دائم، هو جوهر رسالات السماء، وحقيقة قيام الناس بالعدل والقسط، وثورة الحسين في أبعادها وعمقها تشتمل كل هذه الحيثيات والأطر والمحاور التي تحدثنا عنها، فهو عليه السلام العدل وهو الإنسانية وهو القانون، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله: «وأنا من حسين» أي أنّ النبي (ص) يؤكد على جوهر الإسلام ومحتواه، وما يتضمنه، ويبين أن الحسين هو من يجسد ذلك للناس، ليصبح جزءً من شخصياتهم وعقائدهم، وثقافتهم العامة، وإذا سادت تلك الثقافة التي حاربها الأمويون ليرجع الناس إلى ثقافة الجاهلية، ورد عليهم الحسين عليه السلام بقوله: أنا أحق من غَيّر، ولابد أن نعي هذه المعاني، وأنها حقيقة القرآن والإسلام ومعنى حديث الثقلين.

الثورة الحسينية نهضة حياة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(آل عمل ن:169) صدق الله العلي العظيم.

الإمام الحسين عليه السلام أبرز مصداق للاستشهاد في سبيل الله تعالى وهو عليه السلام مصداق للحياة بالمعنيين اللذين فُسرت بهما الآية المباركة —الحياة الحقيقية عند الله تعالى بتمام الإدراك– والذكر الحسن الطيب والآثار المترتبة على الشهادة أي أنّ بعض المفسرين فسر حياة الشهيد بعد موته بالذكر الطيب والحسن، وترتب آثار طيبة على استشهاده تعود على الناس بالخير والنفع، وقد حصل باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام ذلك، والآثار الطيبة المترتبة على استشهاده عليه السلام لا حد لها ولا حصر، تتجدد كل سنة.

الموقف الشرعي من الحاكم الظالم.

إنّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كان ضرورة فلابد أن يستشهد في سبيل الله تعالى وذلك لحكم فقهي أبانه العلماء واتفق عليه جميع الفقهاء من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة العامة، فقد اتفق الفقهاء على أنّ الوقوف أمام السلطان الجائر واجب إذا أظهر الكفر وانسلخ عن الشريعة الإسلامية، وكانت الرعية في دولة إسلامية أظهر السلطان أنّ الإسلام ليس بشريعة سماوية واعتبر الإسلام أكذوبة، فحينئذ يجب على المكلفين جميعاً أن يقفوا أمامه، وأن يقدموا دماءهم قرباناً في سبيل الله تعالى، وهذا الرأي الفقهي للمدرسة الإسلامية بشتى انتماءاتها قد اتفق الكل عليه، ولا يؤخذ برأي من شذّ ورأى أنّ السلطان حتى إذا أظهر الكفر البواح وجب أن يسمع له ويطاع، إذْ أنّ الجميع قالوا: إنّ على الناس كافة الوقوف أمامه. واتفق علماء العامة في الجملة مع علماء أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة وقالوا إذا أظهر السلطان الكفر البواح وأبان انسلاخه عن الإسلام لا يجوز للمسلمين أن يسكتوا عنه بل يجب عليهم أن يقاوموه، وأن يقفوا في وجهه لئلا ينسلخ المسلمون عن إسلامهم ويرجعوا كفاراً، قال ابن حجر: (وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث الذي بعده)( ) .[٤]

٤ – فتح البا ي لابن حجر ج13 ص5.

الدفاع عن المقدسات الإسلامية.

وكما أنّ الوقوف ضد السلطان الجائر واجب فكذلك يجب الدفاع عن المقدسات الإسلامية، وقد عبّر فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن هذا الحكم بالتالي، قال الشيخ الطوسي: (اللهم إلا أن يداهم المسلمين أمر يخاف معه على بيضة الاسلام ويخشى بواره أو يخاف على قوم منهم فإنه يجب حينئذ دفاعهم ويقصد به الدفاع عن النفس والإسلام والمؤمنين)[٤] وقال العلامة الحلي: (إلّا أن يداهم المسلمين عدو يخشى منه على النفس والمال ويخاف على بيضة الإسلام، فيجب على كل متمكن الجهاد، سواء أذن له الإمام أو لا، وسواء كان مقلاً أو مكثراً، ولا يجوز لأحد التخلف إلا مع الحاجة إلى تخلفه، كحفظ المكان والأهل والمال أو منع الإمام له من الخروج)[٤].

والنتيجة التي نصل إليها هي وجوب الدفاع عن المقدسات الإسلامية إذا غُزيت من عدو وكان هدفه انتهاك مقدسات المسلمين وسلخهم عن هويتهم الدينية فإنّ على الجميع حينئذٍ أن يقدم دمه في سبيل الله تعالى من أجل الحفاظ على بيضة الإسلام، هذا هو تعبير فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

التطبيق العملي لهتك المقدسات.

شخصية يزيد ينطبق عليها ما تقدم، فقد ذُكر في التأريخ أنّه تمثل بأبيات شعرية لغيره من الشعراء، دلل بها أنه لا يحترم الإسلام ولا يراه عقيدة وشريعة من عند الله تعالى بل أكذوبة اختلقها النبي صلى الله عليه وآله من أجل مصلحة التغلب على الأمويين، لوجود نزاع بينهم وبين بني هاشم، وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يتغلب على الأمويين باختلاقه للإسلام، ليأخذ زمام المبادرة، أي أنّ الحقيقة عند يزيد أنه صلى الله عليه وآله لم يأتِ بدين من عند الله تعالى.

موقف الإمام عليه السلام من حكومة يزيد.

إنّ الحكم الشرعي عند فقهاء الإسلام بمختلف مشاربهم إذا أظهر السلطان المتولي أمور المسلمين الكفر البواح هو الوقوف ضده وعدم جواز السكوت عنه، نعم؛ قد يكون بعض المسلمين معذوراً غير أنّ على جميع المكلفين الدفاع عن مقدساتهم، ولا يسوغ السكوت للجميع، بل يجب الدفاع والجهاد بكل شيء في قبال السلطان حتى يرجع إلى رشده إما بالتوبة أو بإزالة سلطانه، وقيام الإمام الحسين عليه السلام وثورته ضرورة، فلا يمكن للإمام وهو الشخصية الأولى المثل لديمومة الإسلام

---

٤ – المبسوط للطوسي ج2 ص8.

٤ – تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ج 9ص 48.

واستمراره والاتجاه الصحيح له أن يسكت عن يزيد، إذْ أنّ سكوته يساوي التخلي عن الإسلام، وقد أجمع الفقهاء على هذا الرأي، بل أنّ السكوت قد يعطيه الشرعية لمحاربة الإسلام بحكم الإسلام، ويزيد حتى وإنْ أظهر الإسلام نفاقاً، فهو لا ينتمي إليه، لقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهذا الكلام معناه أنّ الإسلام ليس بدين من السماء، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله كذب على الله تعالى.

الحياة في النهضة الحسينية.

إننا عندما نرجع إلى نهضة الإمام الحسين عليه السلام نراها ضرورة حتمية فلا يمكن له عليه السلام أن لا يقف في وجه يزيد، وقد ترتب على هذه النهضة فوائد للناس في كل عصر بل في كل مصر، فكل عصر من العصور، وكل بلد من البلدان يخاف الناس من التهديد والكبت والقمع والظلم الفادح، والإنسان يحب أن يعيش لأنّ الله تعالى أودع فيه حب الحياة، وقدسها الدين الإسلامي أيضاً، وكذلك قدسها المسلمون، والثقافة الإسلامية ليست ثقافة موت، بل ثقافة تقدس الحياة بمعناها الدائم وبمفهومها الشامل، الذي يعم الحرية والقانون والاحترام والتقدير –الكرامة– كما أكد القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء ٧٠).

والإمام الحسين عليه السلام أعطى الحياة البعد الشرعي الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران 169)، فهي دون هذا البعد مجرد حياة لحيوان يأكل ويشرب، وليست بمقدسة، إنّ الحياة التي قدسها الإسلام هي حياة الكرامة والحرية والحفاظ على الحقوق.

المفهوم الخاطئ للحياة.

أما المفهوم الخاطئ للحياة فهو ذلك المعنى الذي يحصرها في أكل الإنسان وشربه فحسب حتى لو جُرِّدَ من حريته وانتُهكت حرماته فأصبح خانعاً ذليلاً لا قيمة له، إنّ هذه الحياة غير مقدسة في الأديان السماوية كافة قال النبي عيسى عليه السلام: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان»[٤] أي أنّ الحياة ليست أكلاً وشرباً فحسب، غير أنّ الأمويين استعبدوا الناس، ووصل ذلك إلى استهتارهم بالشريعة الإسلامية وقيم الرسالة وإظهار أنها مكذوبة على الله تعالى، إنّ الحياة عندما تختزل في المأكل والمشرب ويصبح الإنسان عبداً للحاكم الجائر الذي يرى أنّ الدين الإسلامي مكذوب على الله تعالى لا

٤ – التوحيد والتثليث للبلاغي ص63.

معنى لها، والإمام عليه السلام يقدس الحياة الكريمة، لكنه يقف أمام السلطان الجائر الذي يجعل الناس يعيشون الجانب الحيواني من شخصياتهم وينسلخون عن الإنسانية، إنّ انسلاخ الإنسان عن إنسانيته تجعله لا قيمة له، لأنه ينحدر في وجوده ولا يكون هو الذي استخلفه الله تعالى وكرمه، فيعيش مسلوب الحرية، لا حفاظ على حقوقه بل لا حفاظ على أقدس مقدساته وهو الدين الذي يتعبد به ويؤمن بمفاهيمه وقيمه، ولا معنى حينئذ لعيشه، ولا معنى لقداسة هكذا حياة.

التقية مع السلطان الجائر.

ولا تشرع التقية هنا باتفاق علماء المسلمين بل يجب الوقوف أمام السلطان الجائر الذي أظهر الكفر البواح وانسلخ عن إسلامه ولا يمكن أن يقف المسلم مكتوف اليدين أمامه، يسمع له ويطيع، لأنه لا يمثل الإسلام، بل يراه مكذوباً على الله تعالى، كما قال يزيد المتسلط على المسلمين والذي كانت جيوش الإسلام تحت إمرته يستغل إمكانيات الدولة الإسلامية في تحقيق مآربه.

المسؤولية الشرعية والتقية.

إنّ كثيراً من الناس لا يستطيع أن يقف موقف المسؤولية لخوفه، وخوفه يجرده عن الوظائف المناطة به، فلا يقف مسؤولاً، غير أنّ الخوف له حدود، فقد يخاف المرء ويتقي وتكون التقية مشروعة، إلاّ أنّ لها حدوداً أيضاً، فلا يمكن أن يُتقى في بعض الأحايين كما في الدماء والأعراض، إنّ جميع علماء أهل البيت عليهم السلام قالوا بسقوط التقية في الحالة الأولى فإذا كانت بيضة الإسلام تتعرض لخطر بمجيء شخص همه القضاء على الشريعة الإسلامية، أو القضاء على مقدسات المسلمين، فلا تجوز التقية حينئذ، ومن اتقى ولم يقم بوظيفته تجرد عن إسلامه، إذِ الإسلام لا معنى له إلاّ المسؤولية أمام الله تعالى، فعندما دعا النبي صلى الله عليه وآله المسلمين إلى الإسلام، وأخذ البيعة منهم ذكر فيها أنّ على من آمن به وبايعه أن يحميه مع أهله، وقد أفاض العلماء في ذلك على أنّ مضمون البيعة هي حماية للمقدسات الإسلامية ودفاع عن شخصية النبي صلى الله عليه وآله، ومن دخل الإسلام لا يسعه أن تتعرض شخصية النبي صلى الله عليه وآله إلى الأذى والإهانة وهو ساكت، فلا معنى لذلك حينئذٍ، وعلى الجميع أن يقدم نفسه وماله وأهله في سبيل الله تعالى للحفاظ على مقدسات الإسلام ولا يمكن التجرد عن المسؤولية والبقاء في الإسلام.

السعادة بين الموت والحياة.

إنّ بقاء المسلم مسلماً يقترن بدفاعه عن مقدسات الإسلام، وهو معنى الحياة السليمة، وعلى المسلم أن يلتفت إلى أهمية الحياة بالحفاظ على حقوقه والحفاظ على كرامة نفسه وشريعته، وعندما تنتهك الحرمات كما حصل من يزيد فعندئذ تكون المسؤولية ملقاة على عاتق المسلم في الدفاع عن مقدساته، وإن اقتضت أن يستشهد في سبيل الله تعالى وذلك هو الدين، قال الإمام الحسين عليه السلام: ‹‹وإني لا أرى الموت إلاّ سعادة – شهادة–والحياة مع الظالمين إلا برما››[٤]، إنّ الموت في سبيل الله تعالى يؤدي إلى السعادة الأخروية.

الموقف السلبي تجاه النهضة الحسينية.

والجهاد في سبيل الله تعالى باتفاق العلماء –الذين يحترمون أنفسهم– أي أنّ هناك بعض العلماء باع ضميره، ولا يهمه الإسلام بقدر ما تهمه مصالحه، وقد صدر من بعضهم ما يندى له الجبين، وقال: (الحسين خرج عن حده فقتل بسيف جده) وهذا عالم لا مسؤولية له، إذ أنّ الرجوع إلى الموازين والثوابت التي يراها علماء الإسلام بأجمعهم سنة وشيعة تقول إنّ من أظهر الكفر البواح وتعرض لبيضة الإسلام بهتك مقدسات الشريعة لزم على الكل أن يتصدى له، ومن قُتل فهو حي يرزق عند الله تعالى.

٤ – بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص192.

كيف نحيي عاشوراء

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:32) صدق الله العلي العظيم.

دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في إحياء عاشوراء

ذكرى عاشوراء مفعمة بالأحداث والدروس والعبر، وقد أوليت عناية من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ونقف هنا مع مطلب هام هو كيف نحيي عاشوراء؟

لقد أفصح الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عن كيفية إحياء عاشوراء، وذكرنا في بحث سابق أنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ذكّروا بأحداث كربلاء قبل وقوعها، وكانت لهم تنظيرات وإيضاحات للكيفية المثلى لإحياء قضية الحسين عليه السلام لارتباطها بالإسلام، ولعل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله: «حسين مني وأنا من حسين» يرتبط في مدلوله ومعناه[٦] بالثورة الحسينية، وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام ما يترتب على حضور المجالس الحسينية، للاستماع إلى المحاضرة وقراءة المأتم والحديث عن ثورة الحسين عليه السلام، فقال لفضيل: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: «إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيا أمرنا يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر» إنها مجالس العلم والفكر[٧] الإسلامي الأصيل الذي يرتبط بمذهب أهل البيت عليهم السلام، وهي مورد تقدير ومحبة منهم عليهم السلام.

أهداف إحياء الشعائر الحسينية

يفصح الإمام عليه السلام عن هذه الحيثية، وينبغي أن لا نذهب بعيداً فنقول إنّ الأئمة عليهم السلام عندما شجعوا على إحياء ذكرى الحسين ع فإنّ كل ما ينسب إليه عليه السلام سائغ، وأنّ إحياء الشعائر بأي كيفية جائز، ذلك أنّ الأئمة عليهم السلام حددوا معالم ورسموا أهدافاً لإحياء الشعائر، فإحياؤها يرتبط بمبادئ الإسلام، وما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين» يشير إلى هذا المعنى، أي أنّ الحسين عليه السلام هو العمق المضموني للرسالة الإسلامية، وعليه لابد من الحفاظ على أصالة الثورة الحسينية، ومبادئها والتركيز على القيم والأهداف التي جاءت

٤- بحار الأنوار للمجلسي ج43 ص261.

٤- بحار الأنوار للمجلسي ج71 ص351.

٤- بحار الأنوار للمجلسي ج43 ص261.

آثار صحيحة بها وقد ذكرها العلماء والمؤرخون وينبغي أن نسعى لإحيائها في عاشوراء، إنّ الحسين عليه السلام بيّن بعض معالم ثورته:

الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهو معلم بارز من معالم الثورة ورد في وصيته لابن الحنفية، وفيها حدد الإمام عليه السلام الهدف من خروجه فقال عليه السلام: ‹‹وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر›› [٤] إنّه عليه السلام يواجه سلطة غاشمة للأمويين ويحدد معلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أهداف خروجه، ذلك أنّ الأمر بالمعروف مبدأ قرآني غاية في الأهمية، وقد ارتبطت ثورة الحسين عليه السلام به، وهو واضح المعالم أكده القرآن وأوضحته العشرات من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام، ومعنى إحياء الثورة هو إحياء ذلك المبدأ الذي جعله الحسين عليه السلام من معالم خروجه على الأمويين.

الثاني: عدم الانصياع للظالم.

قوله عليه السلام: ‹‹ومثلي لا يبايع مثله›› [٥] يوضح به ما اتفق عليه المسلمون من أنّ الحاكم عندما يتجرد من الإسلام كيزيد ويسخر من قيم الرسالة، لابد أن يقاوم وإلاّ فلن يبقى للإسلام معنى عندئذ، والحسين عليه السلام يريد للإسلام أن يأخذ ألقه وإشراقه وزخمه الرسالي ولا يتأتى ذلك إلاّ عندما يصمد الصالحون في مقاومة الظلم، لذا قال عليه السلام: ‹‹ومثلي›› أي من يمثل الانتماء الأصيل ليس من حيث النسب فحسب بل من حيث المعالم التي حددها المصطفى ص في شخصيته كسيد شباب أهل الجنة، لن ينصاع لطاغية كيزيد، لكونه عليه السلام يجسد الإسلام كعالم رسالي وشخصية لها وزنها الكبير، وليس كشخص من سواد الناس بل إنه عليه السلام يختلف في رؤاه وفي عطائه، وعليه أن يحسب لنفسه حساباً كي لا تستغل علاقاته مع الظالمين المنسلخين عن قيم الرسالة، إنّ منطق الحسين عليه السلام يختلف عن منطق من يقول نحن مع من غلب، ويجعل الميزان الغلبة، ذلك أنّ الحسين عليه السلام يريد أن يجسد مبادئ الشريعة، ويتضح ذلك من خلال الأمرين المتقدمين وغيرهما من الأمور التي وردت في كلماته وكلام الأئمة عليهم السلام.

٤- بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص ٣٢٩

٥- بحار الأنوار لمجلسي ج44 ص325.

الخطباء والإعلام الحسيني

إنّ كثيراً من الناس لا يعرف أنّ العطاء للحسين عليه السلام لابد أن يرتبط بأهداف الثورة الحسينية، وأن هناك آليات لذلك: منها: الإعلام فهو دِعامة من دعائم الثورة الحسينية، وأهم مصاديقه الخطباء الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله تعالى، ولا يهمهم قول الجمهور فقط بل التركيز على المبادئ فلا يقول الخطيب إلاّ ما أصله الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مع الاتصاف بصفات في شخصيته، ذلك أنّ لسمته وسلوكه تأثير، فلابد أن تتوافر سمات في شخصيته.

المنبر الحسيني أمانة

الخطابة تخصص وليست شرعة لكل وارد، وينبغي لنا إذا رأينا خطيباً يهرف بما لا يعرف، ولم يتلقَ تعليماً كافٍ، ويثير إشكاليات نحن في غنى عنها، أن لا نصغي لما يقول، وأن نلتفت إلى أنّ الخطيب الرسالي من يفقه العمق المضموني لمدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تمثل أصالة الرسالة، وليس كل من يتحدث عن الحسين عليه السلام كذلك، كما أنّ علينا أن لا نتأثر بكل من يتحدث عن القرآن ويقول ما شاء دون موازين، فيذكر أموراً غريبة على الأذهان لا تجلب نفعاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ولا تأصل قيم الرسالة بل قد تبعد الناس عنهم عليهم السلام، إنّ علينا أن نعي المراد من قوله عليه السلام: «أحيوا أمرنا» فإحياء أمرهم عليهم السلام لا يتأتى بالتنفير عن مدرستهم عليهم السلام، وعلى من يبذل المال ويعطي الأجرة أن يجعلها لخطيب يربط الناس بقيم الرسالة التي ضحى الحسين عليه السلام من أجلها، وليس لجمع الناس وإثارة إشكالات عليهم هم في غنى عنها.

المستوى العلمي للخطيب

الخطابة الحسينية تخصص، ولذا نحتاج إلى خطيب عارف ولو افترضنا وجود حاجة إلى خطيب لا حظّ له من العلم ينبغي أن يقتصر دوره على إحياء المناسبة بالنعي والإرشاد والوعظ الأخلاقي فحسب، ولا يتحدث عن مفاهيم عميقة أو يفسر آيات قرآنية وأحاديث، إنّ بعض الخطباء قد يشتهر لنعيه أو أسلوب حديثه، لكنه لم يصل إلى مستوى علمي يؤهله لتفسير الآيات وشرح الأحاديث، وإذا اشتهر بين الناس ومستواه العلمي متدنٍ لعدم التحصيل العلمي فينبغي أن نذكر بأن لا يعطى حجماً فوق مستواه.

توافق المنبر مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

هناك أمور لا بد أن نلتفت إليها من أهمها أن لا نسمع لكل متحدث إذا صعد المنبر إلاّ إذا اتفق كلامه مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولا يُعلم ذلك في الأعم الأغلب إلاّ إذا كان

المتحدث والخطيب يتحدث على وفق موازين، وقد تحصل على مقدار من العلم يستطيع أن يفصح به عن رسالة الحسين ع ومبادئه التي أشار إليها بقوله عليه السلام: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله ....»[1] تلك هي المبادئ والمعالم لرسالة الحسين عليه السلام وهي قيم ومبادئ الإسلام، وعلى الخطيب أن يركز على ذلك وأن لا يدخل الناس في متاهات، وينطبق هذا على الكتب التي نقرأها أو نطبعها عن الحسين عليه السلام وثورته، فلابد أن تراعى أصولاً وموازين للكتاب، ومن يطبع كتاباً عليه أن يلتفت إلى الكتاب المفيد الذي يتحدث عن الفكر السليم لأهل البيت عليهم السلام، ويبتعد عن الأمور غير الصحيحة ويراعي ما يقرب الناس إلى مدرستهم ع، ولا يذكر أموراً لا تصدق.

طرح ما يوافق الدليل

الخطيب الناجح هو من يحترم عقول الناس الذين يأتون تقرباً إلى الله تعالى وحباً لمحمد وآله، وعليه أن لا يقول ما ليس عليه دليل، قال تعالى: ﴿قُلْ اللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس:59) هذه معادلة واضحة، والأحاديث والروايات وأقوال العلماء تخضع لقواعد، ولا يسوغ للمتحدث أن يتفوه بما يحلو له حتى إذا كان بعض الناس يتذوق ما يقوله، لأنّ الميزان هو أن لا يتحدث بما لا يجوز في الشريعة، وينطبق هذا على الكتاب الذي ينشر عن الحسين عليه السلام فليس كل من كتب عنه عليه السلام أصّل ما قاله، نعم؛ قد يتصور ذلك في نفسه لكنه في غاية البعد عنه وقد يبعد الناس بما يطرحه من قضايا لا دليل عليها، إنّ التركيز على الروايات الصحيحة والكلمات المشهورة الموجودة في المصادر الإسلامية عامة، وهي من الاشتهار بمكان، وجلها موجودة في مصادر المدارس الإسلامية الأخرى، ويستطيع الخطيب أن يتحدث بها عن ثورة الحسين عليه السلام، وكذلك الكاتب ومن أراد أن يكتب عنه عليه السلام عليه أن يراعي الأصالة والأسس، وأن لا يورد أشياء لا دليل عليها، بل قد تبعد الناس عن مبادئ الثورة الحسينية، إنّ تأصيل الفكر الحسيني بالأدلة الصحيحة والمحكمة يقرب الناس لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإذا أراد الخطيب والمؤلف أن يتحدث عن شعارات الحسين عليه السلام وهي من الاشتهار بمكان يستطيع أن يؤلف كتباً من خلال المقايسة بين أصالة شعاراته عليه السلام وزيف الشعارات الأخرى التي يطرحها الدجالون، شعارات الحسين عليه السلام هي الصدق، وأفعاله عليه السلام منطبقة على شعاراته، فلم يسمح عليه السلام أن ينصره كل أحد وأرجع من عليه دين، إذْ ليس همه عليه السلام أن ينتصر بالخداع والكذب، لأنه يجسد مبادئ رسالية يختلف بها عن غيره من الذين يريدون أن ينتصروا بأي نحوٍ.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٣٢٩

مبادئ الحسين عليه السلام مبادئ الأنبياء

مبادئ الحسين عليه السلام هي مبادئ الرسل والأنبياء منذ آدم إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمر ن ١٩) المبادئ والقيم واحدة، نعم؛ قد تختلف في الطرح لكنها تتحد جوهراً، فما كان عند نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فهو عند محمد صلى الله عليه وآله، وهو الذي ذاد عنه الأوصياء والعلماء عبر التأريخ، قيم ترتبط بالفطرة السليمة للإنسان.

قضية الحسين عليه السلام رجوع إلى الفطرة

يريد الحسين عليه السلام أن يرجع الإنسان إلى فطرته، فلا يباع ويشترى بأبخس الأثمان، ولننظر إلى ما يطرح تشدقاً بعنوان "حقوق الإنسان" هل أنّ ذلك صحيح أم أنه من أجل مصالح؟ نحن نعلم إنّ الملايين من الناس يضطهدون ويعيشون الفقر دون أن يدافع أحد عنهم، والمسألة ليست مسألة حقوق إنسان، وإنما مسألة مصالح، أما في الإسلام فهناك حرمة للإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:70) وقد تعامل النبي صلى الله عليه وآله والإمام الحسين عليه السلام مع الناس سواسية دون بخسٍ لحقوق بعضهم، والحسين عليه السلام تعامل مع ابنه الأكبر عليه السلام وجون مولاه نفس المعاملة، من هنا نعرف حقوق الإنسان، ونرى التعامل العملي للإمام عليه السلام يفترق عما يطرحه أصحاب المصالح منذ القديم إلى يومنا هذا من شعارات جوفاء لا يراد بها إلاّ الكسب، نعم قد يعطيك 10% من أجل جلب 90% من المصالح لنفسه، لا يهمهم الإنسان بقدر ما تهمهم مصالحهم، إنهم يصرحون في مذكراتهم السياسية وكتبهم بذلك، والمقايسة تظهر ألق الثورة الحسينية وصدقها للناس، وقد أشارت زينب عليها السلام إلى هذا المعنى في قولها: ‹‹وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا›› إنّ المقارنات في البعد الزمني يتعرف بها الناس على الفارق الكبير، لذا لا نستطيع أن نقيس علياً بغيره لأنه عليه السلام صادق في قوله وفعله، قال أحد الفلاسفة الملحدين –شبلي شميل–: إنّ علياً هو أعظم شخصية على مدار التأريخ، أي يرى أنه لا يقاس به عليه السلام الأنبياء، ونحن نختلف وإياه، ونرى أنّ محمداً ص هو أعظم شخصية وبعده علي عليه السلام، لكنّ هذا الفيلسوف أدرك بفطرته أنّ علياً عليه السلام في منتهى العظمة، إننا نرى محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام وجهان لعملة واحدة، كلاهما يمثل قيم الرسالة ومبادئها.

٥- الإرشاد للشيخ المفيد ج2 ص115–116.

أهمية الحضور في المآتم الحسينية

ونؤكد هنا على أهمية حضور المآتم الحسينية، وإنْ كان الحضور عندنا يثلج الصدر ولله الحمد، والكثير من الناس يذهب إلى المآتم مع علمه لأنه لا يستفيد ثقافياً لرقيه، لكنه يحضرها تعبداً وطاعة لله تعالى، ويرى أنها مصداقاً لـ«أحيوا أمرنا»، لقد حضر الإمام الصادق عليه السلام هذه المجالس وهو معصوم أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهره تطهيراً وعلمه لدني، ومع ذلك حضرها وأحياها، وعلينا أن نغرس ذلك في نفوس أبنائنا وبناتنا، ونؤكد على ضرورة حضورها لكونها شعيرة إلهية، إنّ العلماء والمراجع يقيمون المآتم ويحضرون مجالس الحسين عليه السلام، ولا يقول أحدهم ماذا عسى أن يقول الخطيب في حديثه ليضيف جديداً، فيحضر العالم المأتم بغض النظر عن الاستفادة العلمية منه، بل لكونه مصداقاً لـ«أحيوا أمرنا» وربطاً وثيقاً لمبادئ الحسين عليه السلام.

خاتمة:

إنّ علينا أن نؤصل مفاهيم ورؤى الإسلام في المنبر الحسيني وأن لا نبتعد عن ذلك، وندرك أنّ غير المتخصص قد يجلب ضرراً على الحسين عليه السلام نحن في غنىً عنه.

الفصل الثاني: أهداف ثورة الإمام الحسين [ع].

الاستقامة مبدأ الثورة الحسينية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠).

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ (الجن:١٦) صدق الله العلي العظيم .

أهمية الاستقامة :

في البدء نرفع أحرّ التعازي للأمة الإسلامية بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مع صحبه الميامين .

ثورة الإمام الحسين عليه السلام منهاج حياة و جامعة علمية وفكرية وثقافية تُعطي للإنسانية أعظم الدروس والمحاضرات الراقية التي تُسهم في تقدم الفرد والمجتمعات والأمم . ومن أهم الدروس والعِبَر التي يستلهمها الإنسان من هذه الثورة الاستقامة والثبات على المبدأ . و قد أولى الدين الإسلامي الاستقامة أهمية بالغة ، وأكد عليها في كثير من آي القرآن الكريم والروايات، قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع القرآن آية كانت أَشَدَّ من قوله تعالى في سورة هود : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود:١١٢)، ولهذا قال صلى الله عليه وآله : ((شيبتني هود)) . لأن الاستقامة والثبات[٣] على المبدأ كانت تشغل بال[٥] النبي صلى الله عليه وآله وتُؤثر فيه تأثيراً بالغاً، لكونها تمثل اختباراً لمدى قوة إيمان الإنسان وإرادته الصُلبة في مواجهة العقبات الكأداء والمصاعب التي تقف في طريقه . والاستقامة هي أيضاً محور هام للعلماء في العصر الحديث ، ففي أحدث الدراسات العلمية الخاصة بعلم النفس – التي تبحث حول العوامل التي تُسهم في نجاح الإنسان – تُؤكد هذه الدراسات على وجود عامل أساسي للنصر والنجاح على مستوى الفرد أو المجتمع ، هو عامل الثبات والاستقامة . ونحن إذا قمنا بدراسة عميقة في حياة الأفراد والأمم والحضارات وبحثنا

٥- بحار الأنوار للمجلسي ج16 ص192.

عن أُسس التقدم لتلك الأمم أو لأولئك الأفراد وأصحاب تلك الحضارات نجد أنّ الركيزة الأولى التي يقوم عليها تَقَدُمُهم هي الاستقامة.

مواضع الاستقامة في حياة الإنسان.

تتجلى أهمية الاستقامة بوضوح في حياة الإنسان وترتبط بعقيدته ، فالذي يُؤمن بعقيدة على أساس الدليل يستقيم على عقيدته ، قال الإمام علي عليه السلام: ((أفضل السعادة استقامة الدين)) أي الركيزة التي تقوم عليها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة هي الثبات والاستقامة على المنجزات التي حققها الإنسان في الجانب العقدي . و تُؤكد الروايات أيضاً على مورد هام من الموارد التي يستقيم عليها الإنسان وهو الحق وأهله ، قال الإمام علي عليه السلام: ((اعلموا أنّ الله تبارك وتعالى يبغض من عِبَادِهِ المتَلون ، فلا تَزُولُوا عن الحق وولاية أهل الحق ، فإنّ من استبدل بنا هلك)) [٥] تُبين هذه الرواية أنّ الحق واتباعه هو من مواضع الاستقامة للإنسان في كل شأن من شؤون حياته ، كما أنّ الثبات على الولاية ومبادئ أهل البيت عليهم السلام هي احدى الركائز القوية للنجاح في الدنيا والآخرة.

الاستقامة في حياة الناجحين :

إنّ الاستقامة في آلية العمل – التي تقوم على أساس صحيح وفق منهجية مخطط لها – تُسهم في تحقيق النجاح للفرد والمجتمع ، و إذا درسنا حياة الفاشلين نجد أنّ من أبرز السمات التي تُدلل على فشلهم هي ترك الاستقامة. ففي سيرة العلماء ، نجد أنّ بعضهم وصل إلى مراتب عالية وشامخة وحقق طموحاته وأهدافه ، ونجد بعضهم الآخر لم يصل إلى تلك المرتبة بسبب عدم استمراريته في البحث والتدريس وتحمل المصاعب والعقبات حتى بلوغ الغاية المنشودة . وأبرز شاهد من حياة علمائنا الأبرار يمكن طرحه كنموذج راقٍ في الوصول إلى المراتب العلمية العالية الشيخ الأنصاري رحمه الله ، الذي لم يكن يتمتع بقدرات فائقة من ناحية الذكاء غير أنه تفوق على كثير من أقرانه وزملائه والسبب الوحيد – كما نص على ذلك المؤرخون والمترجمون لحياته – هو استقامته ، فلم يترك دروسه ومباحثاته ومناقشاته العلمية طوال حياته ، وبذلك تحققت له الأهداف والطموحات التي أراد أن يصل إليها . وهكذا إذا نظرنا إلى حياة الفاتحين والغزاة سواء كانوا على حقٍ أو على باطل ، فنابليون بونابرت – الإمبراطور الذي غزا بجيشه كثيراً من دول العالم – يُشير في ذكرياته إلى أنّ أهم سمةٍ استفادها في التغلب على أعدائه وتحقيق انتصاراته الساحقة كانت هي استقامته وثباته على مبادئه وأهدافه . وهكذا أيضاً المكتشفون

٥- ميزان الحكمة للريشهري ج2 ص1306.

٥- ميزان الحكمة للريشهري ج1 ص659.

والمخترعون كانوا يُجرون التجارب تلو التجارب فأوصلتهم في خطواتهم العملية إلى اكتشاف أسرار غامضة لا يستطيع أن يكتشفها غيرهم.

المبدأ في ثورة الإمام الحسين عليه السلام .

وإذا أردنا أن نُغير أو نسعى إلى إيجاد عملية إصلاحية في المجتمع من الناحية الثقافية والفكرية لا بد لنا من الاستقامة على المبدأ مهما كلفنا ذلك من ثمن ، لذا من أهم السمات التي نأخذها من حياة إمامنا الحسين عليه السلام وأصحابه الميامين الاستقامة على المبدأ ، وحتى يتضح هذا المبدأ الحسيني سأنقُل لكم بعض العبارات من خطبة الإمام عليه السلام في ليلة العاشر من المحرم التي تتضمن أروع الدروس في الاستقامة ، قال عليه السلام : ((أما بعد ، فاني لا اعلم أصحابا أوفى ، ولا خيرا من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عني جميعا خيرا . وقد أخبرني جدي رسول الله صلى الله عليه و اله باني سأساق إلى العراق ، فانزل أرضا يقال لها عمورا وكربلا ، وفيها استشهد وقد قرب الموعد . الا واني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا)) . ٦

أهداف المبدأ الحسيني في الاستقامة .

نُلاحظ أنّ الإمام عليه السلام — في الخطبة – قد وطن نفسه على الاستقامة في طريق الشهادة ، لأنه يراه السبيل الوحيد في تحقيق أهداف ثلاثة :

الأول : تغيير الثقافة الأموية المزيفة التي نشروها في المجتمع الإسلامي .

الثاني : محاربة الفكر اللاديني الذي يسعى للقضاء على سُنة الرسول صلى الله عليه وآله وتحريف الأحاديث النبوية .

الثالث : تغيير النظام الاقتصادي القائم على توزيع العطاء والمناصب على من ينتسبون إلى الأمويين ومنع الآخرين من ذلك.

٥- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص393.

الإمام الحسين عليه السلام يختبر أصحابه .

و الإمام الحسين عليه السلام عندما قال لأصحابه : ((فاني لا اعلم أصحابا أوفى ، ولا خيرا من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عني جميعا خيرا)) [٧] ، كان يعلم باستقامتهم ، وأنهم مصداق لقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (الأحزاب:٢٣)، أي لا يوجد تغيير، بل ثبات واستقامة على المبدأ . إلا أنه كان يُريد أن يُوصل رسالة للإنسانية حتى يتعرفوا على جانب الصمود والثبات في أصحابه لكي يقتدوا بهم. وهو عليه السلام عندما قال لهم : ((فانطلِقُوا جَميعاً، في حِلٍ ليس عَليكُم مِني ذِمَامٌ)) [٨] ، وهذه فرصة ذهبية للإنسان الذي ليس له مبدأ يستقيم عليه لكي يهرب لأنه يُحِبُ الحياة ويتشبث بها إلى أبعد الحدود ، لكنّ أصحاب الحسين عليه السلام يتحركون وفق منهج متكامل وهدف سامٍ ، رسمه لهم الإمام عليه السلام ، ولابد أن تتحقق الأهداف حتى وإن تطلب ذلك تضحيةٍ وبَذلِ دِمَاءٍ.

الإمام عليه السلام يأذن لأنصاره بتركه .

قوله عليه السلام : ((وهذا الليل قد غشيكم ، فاتخذوه جملا)) ، توكيد لما قاله عليه السلام وأنه لم يكتفِ بأن يقول لهم : ((فانطلِقُوا جَميعاً، في حِلٍ ، ليس عَليكُم مِني ذِمَامٌ)) [٩] ، بل شرح لهم الأسلوب وأعطاهم الطريقة في الهروب ، وتلك فرصة للضعيف والجبان لكي يهرب وينفذ بجلده ، لكنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يختلفون عن غيرهم في المثلِ والقِيَم التي يعتقدون بها ويسيرون على ضوئها . مع أنه عليه السلام طلب من أصحابه أن يأخذوا أقاربه وأهل بيته ويذهبوا بهم عندما قال لهم : ((وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي . فجزاكم الله جميعا خيرا ، وتفرقوا في سوادكم و مدائنكم ، فان القوم انما يطلبوني ، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري)) . وهذا اختبار من الإمام

٥- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص393.

٥- تاريخ الطبري ج4 ص317، قال الامام الحسين عليه السلام: أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً لي ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا وصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعا خيرا ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملا

٥- تاريخ الطبري ج4 ص317، قال الامام الحسين عليه السلام: أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً لي ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا وصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعا خيرا ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملا

٦- بحار الأنوار للمجلسي ج16 ص192.

عليه السلام لجميع أصحابه ومن جاء معه حتى يثبت للأجيال المتعاقبة الاستقامة الحقيقة التي يتحلى بها جيشه وأنصاره.

جواب أنصار الإمام الحسين عليه السلام .

بعد أن فسح الإمام عليه السلام المجال للجميع وأنه يمكنهم الذهاب وتركه لأنّ الظالمين لا يريدون غيره، كان جوابهم له عليه السلام كالتالي :

أولاً : إخوته وأولاده وأبناء أخيه وغيرهم من الهاشميين قالوا : ((لِمَ نَفعَلُ ذلك ؟! لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً)) . إنهم مخلصون ينظرون بنور الله ويعلمون بعدم فائدة للبقاء بعده عليه السلام ؛ ما فائدة البقاء بعدك ؟ هل هو للأكل والشرب وللأمور المادية فقط أم هناك هدفٌ أسمى من هذه الحياة المادية يطمح له الإنسان ليُحقق ذاته وغاية وجوده ؟

إنّ الهدف المعنوي والطموح العالي كان يسري في دماء هؤلاء الشبان الأشاوس ، ولا يمكن أن يضحوا بالنعيم الأخروي من أجل دنيا زائلة ، قصيرة الأمد . ولم يكن للمنطق القبلي أو العشائري أي أثر في كلامهم أو خطابهم مع قرابتهم الحميمة من الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً : أصحابه عليهم السلام وأنصاره الذين أجابوا الإمام عليه السلام بكلام العاشق للتضحية والفداء وسنذكر نموذجين منها :

الأول : كلام مسلم بن عوسجة الذي قال : ((أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك)) . ٢ ٦

الثاني : كلام زهير بن القين الذي قال : (والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتله وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيت) . إننا نجد في ٣ خطاب أصحاب الحسين عليه السلام لغة المنطق العقلي والشرعي ، وأنّ المسألة عندهم هي عهد وميثاق مع الله تعالى ، وذلك واضح من قولهم : (ولما نعذر إلى الله في أداء حقك) ، فهناك طاعة وحق أفترضه الله تعالى للمعصوم عليه السلام يجب تأديته حتى يسقط التكليف الشرعي ، وهذا الوعي الكامل للجانب العقدي لهم؛ هو الذي خَلّدَهُم إلى يومنا هذا ، حتى أنّ هناك حديثاً عن الإمام أمير المؤمنين يشير فيه إلى أنه لا يصل إلى مرتبتهم من تَقَدّم عنهم من الشهداء ولا من تأخر عنهم لأنّ لهم مرتبة

٦- تاريخ الطبري للطبري ج4 ص318.

٦- تاريخ الطبري للطبري ج4 ص318.

٦- نفس المصدر السابق.

خاصة . وكلامهم في حب الموت ولقاء الله يدل على توطين أنفسهم على الشهادة للوصول إلى النصر الذي تحقق لهم في انتصار فكرهم وثقافتهم الأصيلة النابعة من الاستقامة والثبات على المبدأ الحق . و الإمام الحسين عليه السلام عندما سألته السيدة زينب عليها السلام عن مدى استعداد أصحابه للقتال معه ، أجابها بقوله : ((والله لقد بلوتهم، فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس ، يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه)) يؤكد عليه السلام استبسال أصحابه وإخلاصهم في الدفاع عنه.[٦]

ثمرة الاستقامة .

وأخيراً ، نذكركم أنّ الآيتين التي صدرنا بهما حديثنا حول الاستقامة توضحان لنا ، أنّ الفائدة التي تعود على الإنسان باستقامته هي : تَنزيل الملائكةُ عليه ، وأن لا يخاف ، و لا يحزن ، والبشارة بالجنة ، وأن يكون من أولياء الله في الدنيا والآخرة ، وأن الله تعالى يُسقيهُم بالماء الزُلال المكتمل ، كناية عن اكتمال الحياة في كل جوانبها المتعددة.

٦- كربلاء، الثورة والمأساة لأحمد حسين يعقوب ص299.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام في أهدافها الإنسانية

قال إمامنا الحسين عليه السلام: ‹‹اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام؛ ولكن لنري المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعْمَل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإنكم إنْ لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير››[٦]

موقف الأمويين من الإسلام.

استعرض الإمام عليه السلام أهداف ثورته في خطبه وكلماته المتعددة، وأبان تلك الأهداف السامية من قيامه بتلك الثورة، مما يُدلل على نظرته الشمولية واستشرافه لمجموعة من الأهداف التي يصلح كل منها أن يكون مشروع ثورة، وهنا لا بد من الالتفات إلى النتيجة المأساوية التي آلت إليها الأمور، من خلال البرامج المكثفة التي عملتها الدولة الأموية، وتمَّ فيها إرساء معالم ثقافية مختلفة وبعيدة عما يمت إلى الإسلام بصلة غير الصلة القشرية؛ لكونهم يهدفون في برامجهم الدينية والثقافية إلى إفراغ الإسلام من محتواه وتجريد الشريعة من مضامينها على أكثر من صعيد وبأكثر من نظام.

كشف الإمام عليه السلام لأهداف الأمويين.

والإمام عليه السلام يهدف أن يوضح -في هذا النص الذي استعرضناه- بعض برامج العمل التي قامت بها الدولة الأموية، ويريد أن يعمل بأسلوب معاكس لتلكم الخطط والبرامج المقامة؛ كي يضادها ويئدها، لئلا تُضَلِل الرأي العام، فتنمحي آثار الشريعة وتُطفأ السُنن ويعود الإسلام غريباً بين أهله، اللهم إلاّ بالهوية بعد إفراغه من مضمونه، فجاءت كلمته عليه السلام تبياناً لتلكم البرامج المضادة من لدن الأمويين.

أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

شرح الإمام عليه السلام للجماهير المسلمة أُبّان تلك الفترة، وللأجيال إلى يوم الناس هذا، بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقال: ‹‹اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان››، لم يخرج عليه السلام لأجل الدعاية والإعلام وجلب الانتباه لشخصه باعتباره سيمثل رئيساً للدولة

٦- بحار الأنوارللمجلسي ج97 ص80.

وحاكماً للمسلمين، ولم يهدف في ثورته أن يحصل على مكافآت مادية، ‹‹ولا التماساً من فضول الحطام››. ثم أخذ عليه السلام يعدد الأهداف التي ركز عليها:

الأول: إبقاء مبادئ الشريعة.

قال عليه السلام: ‹‹ولكن لنرى المعالم من دينك››.

أول مفردة ركز عليها الإمام هي بقاء مبادئ الشريعة بينةً في وضوحها، ليتمكن المنتمي للإسلام التعرف على معالم دينه والعمل بتكاليفه الشرعية على ضوء ما جاء به المصطفى صلى الله عليه وآله.

الثاني : الإصلاح.

قال عليه السلام: ‹‹ونُظهِر الإصلاح في بلادك››.

هذا مطلب في غاية الأهمية ركّز عليه الأنبياء والرسل، قال شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود ٨٨)، بل أنّ الأنبياء والرسل جاءوا للإصلاح بمعنييه:

الأول: الذي يتم فيه تبديل الشيء الفاسد بغيره، والإصلاح هنا يساوق التبديل والتغيير.

الثاني: الذي يكون الشيء فيه ناقصاً أو قد غُير في معالمه ويأتي المصلح ليضع لمساته ويزيل تلك النقائص التي تعتري ذلك الشيء الفاسد، وبإتمام ذلك الشيء يكون قد صلُح. لذا، نجد أنّ الإصلاح بمعنييه –التبديل والتتميم– منهج الأنبياء والرسل والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وعندما يكون هناك مشروع فاسد لدولة ما لابد أن يزال ذلك المشروع ويضع الصالحون مشروعاً يتفق مع ما يريده الإسلام الحنيف، ولعل مراد الإمام عليه السلام من الإصلاح هو المعنى الثاني (إزالة النقائص)، فقد أجرى الأمويون تبديلات متعددة وتغييرات على كثير من معالم الشريعة المقدسة، فكان الإمام عليه السلام يهدف إلى إزالة ذلك الدّرن الذي اعترى معالم الشريعة البينة. ولذا، أمر الله تعالى الناس بالإصلاح في الكثير من المفردات التي يقوم بها الإنسان في حياته، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال ١)، التقوى توأم مع الإصلاح لذات البين، وعندها يكون الإنسان مصلحاً لما فسد، مزيلاً للنقص فيما يعتري علاقات ذات البين.

الثالث: الأمن والاطمئنان.

قال عليه السلام: ‹‹ويأمن المظلومون من عبادك››.

ركز الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على الأمن والطمأنينة، لأنّ استتبابهما أمر غاية في الأهمية، وذلك هو منهج الرسل والأنبياء، إذْ لا تقدُم في الحياة، ولا عيش هانِئ دون أمن وطمأنينة يسودان العلاقات الاجتماعية بين الفئات المتعددة، وبين كل فرد وآخر، ويرجع تركيز الإمام على هذه الظاهرة إلى أنّ الأمويين يتقصدون بعض الفئات من الناس –خصوصاً الفئة المنتمية لأهل البيت عليهم السلام– بالتصفيات الجسدية والتضييق الاقتصادي والتهميش في الحياة الاجتماعية، فأراد الإمام عليه السلام أن يرسخ الأمن للجميع؛ وهذا ما أكد عليه علماء النفس من أنّ اختلال الأمن لفئة من المجتمع يؤدي إلى اختلال الأمن بسائر الفئات تبعاً لاختلال أمن تلك الفئة، لأنّ علاقات المجتمع الأمنية يرتبط بعضها ببعضها الآخر، ويريد الإمام عليه السلام بالإضافة إلى إظهار الإصلاح في البلاد أن يعيش الجميع باطمئنان حتى من يختلف مع السلطة في توجهاتها الاجتماعية و برامج عملها الثقافية.

الرابعة: الحرية الدينية.

الحرية في أداء الفرائض وإقامة السنن والعمل بالأحكام، حيث إنّ الكثير من الدول الظالمة في تأريخ الإنسانية تحارب الناس في أدائهم لفرائض الدين وإقامتهم لأحكام الشرع، والإمام عليه السلام يؤكد على هذا المطلب باعتباره يشكل جزءاً هاماً في حياة الإنسان، الذي يحتاج إلى الحرية لإقامته للفرائض والأحكام الدينية كما يحتاج إلى الأمن في حياته الاجتماعية؛ بمعنى أن يُتاح للناس أن يعملوا بفرائضهم دون تضييق، لأنّ السلطة الأموية كانت تضيق على الكثير من فئات المجتمع في إقامة فرائض الدين وإحياء السنن، بل، أنّ من ينظر التأريخ الأموي يجد إحياء البدعة وإماتة السنن وتعطيل الأحكام الشرعية كان أحد برامج الأمويين.

دعوة الإمام عليه السلام لنصرة الحق.

ثم خاطب الإمام عليه السلام الجماهير مؤكداً لها أنّ هدفه واضح، وأنّ خصمه الذي يضاده في توجهاته الإصلاحية مشخصة أهدافه، وعلى المجتمع أن ينضوي تحت قيادة الربانيين من الأمة المتمثلة في شخصه عليه السلام، لأنّ غير ذلك سوف يؤدي إلى عواقب وخيمة، ‹‹فإنكم إنْ لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة››، هذه نتيجة طبيعية تتحقق إذا لم يُنصَر العدل وتُقَام السُنن ويظهر الإصلاح لتكون المسيرة راشدة ويحصل التقدم والازدهار لكل ما يريده الشارع في المجتمع الإسلامي، وإن لم يكن ذلك ستكون لهؤلاء الظلمة سلطنة يُتاح لهم أن يعملوا في إطفاء نور نبيكم.

ثم بيّن عليه السلام أنّ التوجه العام للجماهير إذا كان يحقق إرادة السلطة الأموية، فلا حول للإمام عليه السلام إلاّ أن يقوم مع الثلة المناصرة للحق، الذائدة عن المعالم، المتبعة لسنن الأنبياء والرسل في محاربة الباطل مع الالتجاء إلى الحق تعالى.

السياسة الأموية في الجانب الاقتصادي.

ثم أبان الإمام عليه السلام بوضوح في كلمات أخرى ما يريده الحكم الأموي فقال: ‹‹وقد علمتم أنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وترلوا عن طاعة الرحمن وأظهروا الفساد في الأرض، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء›› [٦].

ركّز الإمام عليه السلام على الجنبة الاقتصادية للمجتمع، إذْ أنّ السلطة الظالمة ليس من برامجها أن يعيش المجتمع الرفاه الاقتصادي، بل، تريده يعاني الضيق والضنك، لوجود ثلة من المجتمع تستأثر بكل مقدرات الأمة، ‹‹واستأثروا بالفيء››، تشكل الحياة الاقتصادية أحد برامج عمل أنبياء الله ورسله، لأنّ الاستضعاف في الحياة الاقتصادية لفئة من الناس يؤثر سلباً على الجميع، وقد أكدت الدراسات أنّ الفقر لبعض فئات المجتمع يأكل الرفاه الاقتصادي لمن استأثر بالفيء، لذا، على أولئك الذين يُخطئون في فهمهم للشريعة المقدسة أن يلتفتوا إلى أهمية العدل في الحياة الاقتصادية، كما ركّز عليه الأنبياء والرسل، وأنّ الله تعالى لا يريد الفساد في كل أمر من الأمور، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (الأعراف ٨٥).

٦- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص382.

الحسين عليه السلام عبرة وعبرة

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:32) صدق الله العلي العظيم.

سر خلود القضية الحسينية

روي عن إمامنا الباقر عليه السلام أنه قال: ‹‹من ذرفت عيناه على مصاب الحسين عليه السلام ولو مثل جناح البعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر›› [٦].

وردت في البكاء على الحسين عليه السلام روايات معتبرة عن أهل البيت عليهم السلام، وقبل استعراضها نشير إلى مطلب جد هام، هو أنّ ديمومة أي قضية واستمرارها يرتبط بأمرين هامين بالإضافة إلى البعد العقدي، أي أنّ البعد العقدي وحده لا يكفي في إعطاء الزخم والفاعلية إذا لم يتوافر الأمران اللذان، سنشير إليهما باقتضاب:

الأول: الإستناد إلى العقل.

كون القضية تستند إلى العقل، بحيث إذا فكر الإنسان فيها وجد أدلة عقلية على صحتها، أما إذا لم تسندها الأدلة العقلية فلن يكون تأثيرها إلاّ في أتباعها، وإذا أثرت فهي غير قابلة لئن أن تكون شعلة وضاءة لغير أتباعها، ذلك أنّ دعامة أي قضية يرتبط بانسجامها مع موازين العقل، وتأييده لها بقوة.

الثاني: العاطفة.

ولها تأثير فاعل، وإذا استندت قضية ما إلى العقل دون أن تستند إلى العاطفة فلن يكون لها الزخم الهائل والكبير.

أما إذا توافر الأمران –العقل والعاطفة– أصبحت القضية لها فاعلية واستمرار يؤثران في أتباعها وغيرهم، إذن لابد أن يكون للقضية المؤثرة بالإضافة إلى بعدها العقدي استناد إلى العقل والعاطفة لأهميتهما في تفعيل الإنسان.

٦- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص293.

ارتباط الجانب العقلي بالجانب العاطفي

إنّ العقل وحده لا يكفي لاستمرار وديمومة قضية لأنّ الناس بطبيعتهم لا يحركهم العقل وحده، وكي يتضح ذلك نعطي مثالاً لا يشك أحد منّا أنه سيموت، وينتقل من هذه الدار إلى دار أخرى، يدرك ذلك بفطرته وعقله، ويعرف أنّ الأعمال الصالحة هي الزاد الوفير لعالم الآخرة غير أنّ كثيراً من الناس يصعب عليه أن يتحرك في المسار الموصل إلى الله تعالى، ويتثاقل القيام بصلاة الليل رغم إدراكه لأهميتها في رفع مستواه الإيماني، لأنّ الإدراك العقلي المحض وحده لا يكفي للفاعلية والمحركية وإعطاء الزخم، لكنه إذا اقترن بالعاطفة وحصل الزخم العاطفي، فإنّ استذكار القضية يحدث حماساً غير طبيعي كما نرى ذلك في الظلم، فإنّ العقل يحكم بحسن العدل، ويراه بديهياً أو شبه بديهي، لكننا إذا نظرنا إلى ظلمين تسند أحدهما العاطفة دون الآخر نجد تفاوتاً صارخاً وكبيراً بينهما، فالقتل لشخص ظلماً مدان، ويتفاعل الناس معه لكن القتل إذا كان لامرأة اعتدي على كرامتها، فإنّ القضية تختلف عن الأولى لارتباطها بالعاطفة عندنا نحن العرب، فالناس لديهم استعداد أن يدافعوا عن قضية المرأة بينما قد لا يتوافر الاستعداد للدفاع عن الرجل عند كثير منهم رغم أنّ القتل واحد، وما ذلك إلاّ لأنّ قضية المرأة ترتبط بالجانب العاطفي نتيجة للقيم العربية المؤيدة بقيم الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية.

وعليه فهناك تفاوت بين الأمرين وهناك استعداد للذود عن القضية الثانية لتوافر العنصر العاطفي فيها دون الأولى، والحال كذلك إذا كان القتل لطفل ورجل، فإنّ قتل الطفل يتوافر فيه الزخم العاطفي عند الناس، ولا يختلف الحال في ذلك عند العرب وغيرهم.

التأثير الحركي للعاطفة

إنّ تأكيد الروايات على البكاء إفصاح عن أهمية الجانب العاطفي في الثورة الحسينية، فهي بالإضافة إلى الجانب العقلي، لأنّ الحسين عليه السلام خرج داعية سلام ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسير بسيرة جده وأبيه، وهذه دعائم عقلية تسند الثورة الحسينية لكنها لا تكفي لتحريك الجماهير، لأنهم لا يتحركون للدعائم العقلية المحضة ما لم تقترن بالعاطفة.

التنوع في الجانب العاطفي

تتوافر في الثورة الحسينية الدعائم العقلية والعاطفية، وأراد الأئمة عليهم السلام أن يفصحوا عن أهمية الجانب العاطفي ليرتبط المجتمع الإنساني بغض النظر عن كونه يدين بالإسلام، وذلك أنّ انتهاك الحقوق والجرائم البشعة التي جرت على الحسين عليه السلام تؤثر في كل إنسان عندما يتذكر، فقتل الرضيع، والتمثيل بجسد الحسين عليه السلام وسبي النساء، وحرق الخيم جرائم مؤثرة بالعقل المسند بالعاطفة، وتأكيد الأئمة عليهم السلام على الجانب العاطفي لأهميته في استمرار مبادئ الحسين عليه

السلام التي هي مبادئ الإسلام، والحسين عليه السلام ليس لديه غير الإسلام، فهو عليه السلام يذود عن قيم الرسالة بصدق يختلف به عن غيره من الناس، ذلك أنّ البعض قد يتشدق بكلمات سرعان ما يتجرد عنها، أما الحسين عليه السلام فهو صادق في أفعاله وأقواله، وليس كمن يقول ما قاتلتكم لتصلوا أو تزكو وإنما لأتأمر عليكم، فهو عليه السلام لم يخدع أحداً، لذلك أثّرت مبادئه بفاعلية واستمرار خصوصاً لمن أدرك الزخم العاطفي لقضيته عليه السلام، وهم أكثرية الجماهير، لذا تجدهم باكين نادبين، ومن لم يكن له استعداد أن يضحي بنفسه لمبادئ الإسلام فإن العاطفة تؤثر فيه بنحو ما.

إنسانية القضية الحسينية

الناس على درجات، يرتبط بعضهم بالمبادئ العقلية المحضة، وهم قلة، وهناك من يتأثر بالمبدأين -العقل والعاطفة-، لذا كان الحسين عليه السلام عِبْرَة للمبادئ العقلية، وعَبرة للعاطفة، وتأكيد الروايات على العاطفة لتشمل عامة الناس، والنبي صلى الله عليه وآله تأثر وعلم أم سلمة ليربط الجماهير بالحسين عليه السلام.

س/ قد يقول قائل إنّ هناك جرائم بشعة في التأريخ قضت على مئات الآلاف، فلماذا لا يذكر إلاّ الحسين عليه السلام؟

والجواب: أنّ قضية الحسين عليه السلام هي ذكر لكل مظلوم ودفاع عنه أكان مسلماً أو غيره، لأنها عادلة، وكل من وعى مبادئ الحسين عليه السلام وهي مبادئ رسالات السماء، سيذود عن قيم الحق والعدل وإنْ كان غير مسلم، وقد أشار الحسين عليه السلام إلى ذلك، فقال: «إنْ لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم» لأنّ الإنسان وإنْ تجرد عن قيمه الدينية فإنه ستبقى لديه ضوابط إنسانية، وإذا زالت فسوف يتحول إلى وحش كاسر، لتجرده عن قيمه الإنسانية.[٦]

إنّ مشاكل البشرية تحل عندما تربط بمبدأ قيمي يتوافر فيه العنصران، فعندئذ يتفاعل الجماهير وإياها.

مدى التأثر بالقضية الحسينية

كلما مر الزمان على الثورة الحسينية تألقت بإشراق، وأخذ الوهج الحسيني يزداد تأثيراً في المسلمين وغيرهم، يتعلم غير المسلم من الحسين عليه السلام ويصبح مستعداً للتضحية لمبادئه لعلمه أنّ الإمام عليه السلام أعطى بلا حدود، واتصف بشجاعة منقطعة النظير، ووقف وحده لا يهاب الموت أمام جيش، وهان ما جرى عليه من هتك للحرمات، لأن الله ينظر إليه، وهو بكل شيء محيط، فأصبح معلماً للحرية والحق.

٦- بحار الأنوار للمجلسي ج45 ص51.

الجانب العاطفي في الروايات

أكدت الروايات على الجانب العاطفي ورتبت ثواباً لا يحصيه إلاّ الله تعالى عليه.

البكاء والتباكي

روي عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ‹‹من بكى على الحسين أو تباكى وجبت له الجنة›› [٦].

إنّ قولهم عليه السلام "ومن تباكى فله الجنة" تعليم للبكاء، كما ورد ذلك في تعليم الصبر، قال تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ (آل عمران ٢٠٠) أي أنّ من لم يستطع صبراً فليتصبر، وهنا من لم يبكِ فليتباكى ليتعلم أن يتعاطف مع القضية الحسينية.

أسرار البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

دخل على زين العابدين عليه السلام أحد مواليه، ورأى الإمام عليه السلام يبكي، وقد ذكر المؤرخون والمحدثون أنه كثير البكاء على الحسين عليه السلام، يريد بذلك أن يعلم الناس الارتباط بمبادئ الحسين عليه السلام، وهي مبادئ إنسانية عامة بالإضافة إلى ارتباطها برسالات الأنبياء منذ آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله، فقال مولاه له عليه السلام: جعلت فداك! إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، أي لماذا التأثر البالغ على الحسين عليه السلام دون بقية المصائب! إذْ أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ضرب على رأسه أيضاً، وجرت عليهم عليهم السلام مصائب كثيرة، فقال عليه السلام: ‹‹إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ وخنقتني لذلك عبرة›› [٧] أي أن هناك ما يربطني بمصارع هؤلاء الطيبين من انتهاك للحرمات وتعدٍ على القيم مما يؤثر عاطفياً، إنّ كثيراً من الناس يسأل عن البكاء على الحسين عليه السلام دون ما سواه؟

والإجابة واضحة إنّ البكاء على الحسين عليه السلام بكاء على كل مظلوم، وشجب لكل تعدٍ، وإدانة لكل انتهاك للعدالة، وذلك معنى البكاء على الحسين عليه السلام، وهو إعلان للسير على مبادئه ع، مبادئ العدالة والقانون والتوجه إلى الله تعالى.

ثواب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

٦- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص288.

٧- الأمالي للطوسي ص204.

عن الحسين عليه السلام: ‹‹ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة إلا بوأه الله بها في الجنة حقباً›› وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: ‹‹أيما مؤمن[٧] دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خديه بوأه الله بها غرفا يسكنها أحقاباً›› إذا دخل الإنسان الجنة[٢] لا يخرج منها، غير أن هناك درجة عالية في الجنة قد يتبوئها لبكائه على الحسين عليه السلام، ويلبث فيها آلافاً من السنين، أي أنّ من كانت أعماله لم توصله إلى تلك الدرجات فبكاؤه على الحسين عليه السلام كفيل برفع درجته، والحال كذلك لمن اقترف بعض الذنوب، وهو من أهل الجنة، فإنه يلبث في النار أحقاباً، قال تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبأ:23).

قال عليه السلام: ‹‹أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلاّ بكى›› أي هناك عاطفة تربط الناس بثورته عليه السلام حتى غير المؤمن إذا لم ينسلخ عن مبادئ الإنسانية فإنه يغتم ويتألم لذلك.

وعن الباقر عن أبيه عليهما السلام: ‹‹وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذىً مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار›› والرواية تشير إلى المؤمن الذي صدق بمبادئ أهل البيت[٥] عليهم السلام وتأثر عاطفياً بما جرى عليهم من المصائب، فإنّ الله تعالى سوف ينزله منزل صدق في الجنة.

عن داود بن كثير الرقي، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ استسقى الماء، فلما شربه رأيته وقد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثم قال: ‹‹يا داود، لعن الله قاتل الحسين، فما أنغص ذكر الحسين للعيش! إني ما شربت ماء باردا إلا وذكرت الحسين، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، ومحا عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكان كأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه›› .[٧]

استعبر هنا الإمام عليه السلام واغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال لداود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام فإنّ ذكر الحسين عليه السلام ينقص علي العيش، والرواية فيها من الشجب والاستنكار والطرد عن رحمة الله تعالى لقاتلي الحسين عليه السلام، وذكر الثواب الجزيل للتعاطف مع الحسين عليه

٧- الأمالي للمفيد ص341.

٧- وسائل الشيعة للحر العاملي ج14 ص501.

٧- مستدرك الوسائل للنو ي ج10 ص311.

٧- كامل الزيارات لابن قولويه ص201.

٧- الأمالي للشيخ الطه قي ص205.

السلام ‹‹كتب الله له مائة ألف حسنة، ومحا عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكان كأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه››.

الأئمة عليهم السلام يجسدون العاطفة الحسينية

قال الإمام الصادق عليه السلام: ‹‹كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين›› إنّ من أصابه غم عليه أن لا يجزع، لكنه إذا جزع لعلى الحسين عليه السلام فجزعه وغمه يرتبط بقيم ومبادئ السماء، وذلك مطلوب.

وقد جسّد الأئمة عليهم السلام تلك المبادئ، عن أبي عمارة المنشد، قال: "ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله عليه السلام متبسما في ذلك اليوم إلى الليل، وكان عليه السلام يقول: الحسين عليه السلام عبرة كل مؤمن" [٧].

وعنه عليه السلام: ‹‹من ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة›› أي سيوفق للتوبة حتماً ويكون من أهل الجنة. [٧]

وقال الرضا عليه السلام: ‹‹يا بن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن علي عليه السلام فقل متى ذكرته: ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً›› [٩].

قوله عليه السلام: ‹‹ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً›› تأكيد وتمنٍ للذود عن تلك المبادئ والقيم وإظهار الاستعداد لذلك.

تؤكد الروايات على أهمية البكاء ليتفاعل المرء عاطفياً فيتمسك بتلكم المبادئ التي توصله إلى الله تعالى، وترفع درجته في عليين فيكون ثوابه ثواب من استشهد مع الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين عليه السلام شهيد المبادئ والقيم

قال الإمام الرضا عليه السلام: ‹‹يا ابن شبيب ان المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله لهم ذلك أبداً يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيئ فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش›› [١٠].

٧- وسائل الشيعة للحر العاملي ج3 ص282.

٧- كامل الزيارات لابن قولويه ص214 – 215.

٧- جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ص560.

٧- عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ج2 ص269.

٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ج2 ص268.

الرواية من روائع الروايات، وهي تؤكد ما شرحناه من ربط الناس بقيم الحسين ومبادئه عليه السلام، قوله عليه السلام: «إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته» أي أنّ أهل الجاهلية يمنعون القتل والقتال قبل الإسلام لحرمة الشهر، وما عرفت الأمة حرمة شهرها ولم تعرف حرمة نبيها بانتهاك حرمة ذريته صلى الله عليه وآله وسبي نساءه، وانتهاك ثقله، «فلا غفر الله لهم ذلك أبداً» يربط الإمام عليه السلام الناس بالمبادئ، كي لا يتعدَ الإنسان حدوده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الطلاق ١) إنّ هذا الزخم العاطفي والتأكيد على أهمية البكاء على الحسين عليه السلام وتبيان أنه ذبح كما يذبح الكبش إبانة لانتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقوله عليه السلام: «وقد قتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه» تأكيد من الرضا عليه السلام على أنّ القتلة وصلوا إلى نهاية التسافل، ولم يبقوا حرمة إلاّ وانتهكوها.

لذا تفاعل غير المسلمين، وهناك من يزور الحسين عليه السلام من المسيحيين، بل هناك من يزوره عليه السلام مع أنه لا يؤمن بدين، لكنه تعلم من مبادئه عليه السلام وبكى عليه عليه السلام، والله تعالى سيعطيه جزاءه إما بأن يموت مسلماً أو أن يجازيه في الدنيا بالذكر الحسن.

أصحاب الحسين عليه السلام والموت للحياة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة ٨) صدق الله العلي العظيم.

أقسام الموت:

لا يمتري أحد أنه سيموت، غير أنّ الموت على أقسام متعددة:

الأول: الموت الطبيعي.

وهو الذي لا يقترن بأمور ترفع مستوى الميت أو تحط من قدره كموت أكثر الناس.

الثاني: غير طبيعي.

ويموته بعض الناس ليتسافل به أو يعلو رتبة بموته، ولا يشمل موت بعض المجرمين المصر على الظلم، فإنه يندرج في الطبيعي بل يراد به الموت الذي يقدم عليه بعض الناس لله تعالى، أما ما يخطبه بعض الطغاة من أجل الدنيا عندما يقاوم إلى آخر نفس من حياته، ويموت متسافلاً، لأنه لا يذود عن عز، وإنما لمطامع مادية كعمر بن سعد فقد دخل الحرب من أجل أن يحصل على ملك الري، وخاطر بحياته لذلك، وسار في طريق الموت متسافلاً.

موت الرفعة

يشترك موت التعالي مع الموت للتسافل، كل منهما يُخطب ويُخطى لتحصيله، غير أنّ موت التعالي يشتريه المرء ويخطو نحوه كالأنبياء والرسل والأوصياء والشهداء فإنّ موتهم من أجل قيم ومبادئ، ولعل ما ورد في بعض الروايات «ما منا إلاّ مسموم أو مقتول» يشير إلى ذلك، أي أنهم[٨] عليهم السلام لا يموتون طبيعياً لكونهم يذودون عن الحق ويغتالهم أعداء الله تعالى لذلك.

خصائص موت العلو

يخاف أكثر الناس من الموت وإنْ كان للعلو، وقلة منهم تكاملت عقولهم ووصلوا إلى مستوى يدركون به أنّ المآل هو الموت، وأنّ المرء وإنْ عاش طويلاً فإنّه مصيره، ولابد أن يستعد له، ويتأهل

٨- بحار الأنوار للمجلسي ج27 ص217.

للتضحية والفداء عن مبادئه، ويقاوم الإغراءات ليموت للعلو، إنّ الموت للعلو تصحبه في الأعم الأغلب إغراءات كبيرة بالأموال والمناصب غير أنّ من سار في طريقه يعلم بأنّ ذلك لن يدوم، ويرجح موت الشرف والعزة ويموت ليحيي ويحيي غيره.

الموت للحياة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(آل عمران:169) أي أنّ من يموت في سبيل الله تعالى هو حي عند ربه مرزوقاً، والكلام ليس في مراتبه المعنوية في عالم الآخرة، بل السير في الصراط المستقيم (العبودية لله تعالى)، ليحصل العابد على مزيد الثواب، وقد بينت ذلك الروايات موضحة أنّ المؤمن لا ينبغي أن يتمنى الموت، لأن بقاءه مصلحة لما يحصل عليه من الأجر والثواب فيتعالى معنوياً، أي أنّ الهدف من البقاء في الحياة الدنيا في المنظور الإسلامي هو الرقي المعنوي والأجر الكبير، وليس الاستمتاع بلذات الدنيا، لأنها فانية، ومهما طال أمدها ستتلاشى منتهية، والعاقل يدرك ذلك، نعم؛ من لا يؤمن بدين يصعب عليه فهم ذلك لكن من يؤمن بالأديان السماوية يعلم أن المآل إلى الله تعالى، وأنّ الهدف من الحياة الدنيا أن نزداد قرباً منه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ*مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾(الذاريات:56-57) أي ليعرفون فيتكاملون.

كيف يكون الموت للحياة

يحقق الموت للحياة ما يطمح له الإنسان، ويختزل عليه المسافات الطويلة، ويرى آثاراً لموته ليست بالحسبان، وقد كان أصحاب الحسين عليه السلام كذلك، بل أنهم وصلوا إلى رتب معنوية لم يصل إليها من تقدمهم ولم يلحق بها من تأخر عنهم، وكي يتضح ذلك نشير إلى أن الإنسان إذا اشترك في سبب من الأسباب، فإن ما يترتب من مسببات تعود إلى ذلك السبب، فمن بنى مسجداً أو تصدق بصدقة جارية فهو شريك فيها، وأنّ كل ما يترتب من الخيرات له سهم منه، ذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية» لأنه أسهم في إيجاد خيرات، وهو السبب، والخيرات مسببات ترتبت على عمله، فيعود له الخير الكبير والأجر الجزيل، من هنا نعلم السر في قوله صلى الله عليه وآله: «لضربة علي لعمرو يوم

٨- مستدرك الوسائل للنوري ج12 ص230.

الخندق تعدل عبادة الثقلين»[٨٣] لأن كل من يدين بالإسلام مسبب عن تلكم الضربة، ولولاها لانتهى الإسلام، فضربته عليه السلام هي السبب الأساس، وجميع الطاعات يرجع فضلها إلى علي عليه السلام لأنه أنهى تلك القوة الغاشمة التي كادت أن تودي بالإسلام.

إدراك فناء الدنيا

ضحى أصحاب الحسين عليه السلام بأنفسهم مدركين بأن الدنيا تتلاشى منقضية، وتنتهي فانية، ولن يبقى لها وجود بنحو كلي، وسيعود جميع الخلق إلى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم:48) عندئذٍ لن يبقى أحد، وسينتقل الجميع إلى الآخرة.

يعلمون بمناياهم

تجلت لأصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته حقيقة الموت للحياة، وظهر ذلك في كلماتهم، فعندما استرجع الحسين عليه السلام بعد أن خفق عليه السلام وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: ««"إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين" ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين فقال: مم حمدت الله واسترجعت؟ قال : يا بني إني خفقت خفقة فعن لي فارس على فرس وهو يقول : القوم يسيرون، والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا»» فهم علي الأكبر رسالة الحسين عليه السلام، إذْ هو ابن مدرسته، ومنطق الحسين عليه السلام هو منطق الأكبر عليه السلام، فقال لأبيه:يا أبه، لا أراك الله سوءً ألسنا على الحق؟ قال : (بلى والذي إليه مرجع العباد) قال: فإننا إذن لا نبالي أن نموت محقين"، أي إن جاءنا الموت أو قدمنا إليه، لأننا محقون.

لا يكترثون بالموت

إن الأكبر عليه السلام يشرح معنيين:

أحدهما: أن السائر في جادة الصواب إذا وقع عليه الموت فهو في حالة مرضية لله تعالى.

والآخر: أعظم منه وهو من يشتري الموت ويخطبه، ويشير إليه قوله (ع): (أوقعنا على الموت)!

متى يكون الموت عزة وكرامة

٨- موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهر ي ج1 ص213.

٨- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص379.

يصطلم الموت أنفسنا، وحري بنا أن نموت في سبيل الله تعالى، ‹‹فإننا إذن لا نبالي أن نموت محقين›› تعبير رائع وجميل، فقد اشترينا الموت وخطبناه لنموت بعزة وكرامة، من هنا فكل ما يترتب من آثار فإنّ الأكبر عليه السلام شريك فيها.

سر تلذذ أنصار الحسين عليه السلام بالموت

قال بعض أصحاب الحسين عليه السلام –مسلم بن عوسجة–: "أنخلي عنك ولما نعذر إلى الله سبحانه في أداء حقك؟! أما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً"(الإرشاد للمفيد ج2 ص92).

إنهم يشرحون معادلة الموت للحياة، ويريدونها في سبيل الحق للذود عن الكرامة، وتحقيق أهداف إلهية، هي أهداف رسالات السماء، ذلك أن الإنسان لو مات أكثر من مرة في سبيل تلكم الأهداف لاستحق أن يبذل جهداً كبيراً ويتحمل العناء في سبيل تحقيقها، كيف وهو لا يموت إلا مرة واحدة.

تميز أصحاب الحسين عليه السلام

أشارت بعض الروايات إلى أفضليتهم على الإطلاق وأن من تقدم عنهم لن يصل إلى رتبتهم، ومن تأخر عنهم لن يلحق بهم، قال عليه السلام: ‹‹أما بعد فاني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً›› وأصحاب الإمام المهديْ عليه السلام رغم ما لهم من فضل لوجود إشكاليات كبيرة في زمانهم غير أنّ الظروف مختلفة بين أصحاب الحسين عليه السلام وأصحاب الإمام المهدي عليه السلام ذلك أنهم يذودون عن مبادئ وهم يعلمون أنه سيتحقق انتصار لها، أما أصحاب الحسين عليه السلام فهم مدافعون عن مبادئ فقط، يعلمون أنه لن يترتب على دفاعهم قيام دولة، وليس إلاّ الموت فحسب، والأمر مع أصحاب رسول الله عليه السلام وأصحاب الرسل والأنبياء والأوصياء عبر التأريخ كذلك، أي هناك احتمال للنصر لديهم، أما أصحاب الحسين عليه السلام فلا يوجد ذلك مع إغراءات كبيرة بالأموال والمناصب لكنهم آثروا الله تعالى والدار الآخرة.

٨- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص392.

استشهاد أصحاب الحسين عليه السلام للقيم الإلهية

إنّ المنظور لأصحاب الحسين عليه السلام هو الذود عن قيم إلهية، وقصدهم أن يموتوا دون الحسين عليه السلام لأنه يجسد الفضيلة والسداد، ومبادئ الرسالات السماوية، وقد جاء ذلك في أراجيزهم وكلماتهم، قال العباس عليه السلام:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبدا عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين [٦]

وحتى من دخل الإسلام تواً كبعض النصارى أراد أن يذود عن المبادئ التي يجسدها الحسين عليه السلام، واللافت في الأمر أنّ بعض من يعادي علياً والحسين عليه السلام كبعض الخوارج تأثر بالحسين عليه السلام، وعلم أنّ ما طرحه الخوارج من قولهم "لا حكم إلا لله" يتجسد في الحسين عليه السلام، فهو عليه السلام الذي يذود عن الحكم الإلهي، فقد سقطت الأقنعة، وعُلم بأنّ الأمويين يحاربون رسالات السماء، وأنّ الحسين عليه السلام يرفع مبادئ العدل والحرية وسيادة القانون والشرف والعزة، لذا تأثر بعض الخوارج به عندما انكشف القناع وتحول إلى مدافع عنه عليه السلام، بل أنّ من كان أموياً في التوجه كزهير بن القين (عثماني الهوى) تأثر بذلك، نعم؛ هناك تعدد مشارب لدى أصحاب الحسين عليه السلام لكن الجميع استشهد بعزة وشرف لذلك خلدوا.

كيف نستلهم الخلود من قضية كربلاء

إنّ جميع ما تحقق من خيرات يرتبط بثورة الحسين عليه السلام، قال بعض العلماء: "كل ما عندنا من الحسين" يشير إلى هذا المعنى: ذلك أنّ تعلم مبدأ القدوة والتضحية والإيثار بهذا المستوى استلهام من مدرسة الحسين عليه السلام الثرة بالعطاء، قد يقال إنّ الحسين عليه السلام معصوم لا يقاس به أحد، غير أنّ كلامنا في التأسي به، وقد كان في كربلاء طيف متعدد منهم من تربى عند علي عليه السلام وله تأريخ طويل كحبيب وبرير، وهما من العلماء والشخصيات المؤمنة لكن الأمر لا ينحصر بهما فهناك الخارجي والأموي والنصراني لكنهم اختزلوا المسافة، وصنعوا ملحمة خلود، ومات كل منهم لا ليحيي نفسه فقط بل لتحيى أمم متعلمة من هذه المدرسة مستلهمة بأنّ الإنسان بإمكانه أن يختار الحق وإنْ لم يكن من أول حياته سائراً على طريق الرشد والسداد، وأنه يمكن لغير السوي في سلوكه أن يشتري الموت لله تعالى فيموت للذود عن المبادئ، ويختار طريق الرشد والهدى ليحلق صاعداً ويصنع ملحمة خلود وحياة للأجيال القادمة كأصحاب الحسين عليه السلام.

٨- بحار الانوار للمجلسي ج45 ص40.

الفصل الثالث: المنهج الحسيني في الثورة

الإمام الحسين عليه السلام ثورة إصلاح وتغيير مسار

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾(الأحزاب ٣٩) صدق الله العلي العظيم.

الإمام الحسين المبلغ الرسالي.

الإمام الحسين عليه السلام مصداق جلي للمبلغين لرسالات الله، الذين لا يخشون أحداً إلاّ الله، فقد حفظ عليه السلام بثورته الإسلام وجعل المنتمين له يعملون لصالحه في توسعة رقعة العالم الإسلامي، ولا يستطيع أحد أن يعرف الآثار المترتبة على ثورته عليه السلام إلاّ بقراءة التاريخ ومراقبة حركة الأمويين، والتعرف على الممارسات البشعة في حق الإسلام كمنهج عملي لهم، غير أنّ الإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يغير مسار المنهج الأموي ليصب في صالح الإسلام، لقد خطط الأمويون للقضاء على الإسلام ومحو شرع الله تعالى.

زعماء المنهج الأموي.

هناك كلمات متعددة لزعماء الأمويين تُدلل على مخططهم في القضاء على الإسلام، نستعرض منها ثلاثاً:

الأولى: لأبي سفيان.

قال أبو سفيان عندما وصلت إليهم الخلافة: (يا بني أُمية تلقفوها تلقف الكرة، فالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة)[٨٧]وهو نص واضح في إنكار المعاد وإنكار الشريعة الإسلامية.

الثانية: معاوية بن أبي سفيان.

وصدر من معاوية ما لا يقل عما صدر عن أبيه، فقد سمع المؤذن يقول :(أشهد أنّ محمداً رسول الله) فقال: (لله أبوك يا بن عبد الله ، لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تَقرُن اسمك

٨- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج9 ص54.

باسم رب العالمين)٨٨يبين النص أنّ معاوية يعتبر الرسالة الإسلامية تخطيطاً من لدن النبي ﷺ لغلبة الحزب الأموي باعتبار أنّ الأمويين والهاشميين كانوا في صراع بين الفضيلة والرذيلة، والحق والباطل، الهاشميون يمثلون الحق والفضيلة والقيم، ويمثل الأمويون الرذيلة والانحطاط في الأخلاق وتجارة الرقيق الأبيض، وللأمويين منهج يعادي الحق، وكان معاوية يعتقد أنّ شعائر الإسلام جاء بها النبي ﷺ للقضاء على الحزب الأموي باعتبار أنه ﷺ يريد التأكيد على القيم التي يُؤمن بها الهاشميون، فنسب ص نفسه إلى السماء.

الثالثة: يزيد بن معاوية.

استمر المنهج الأموي لمحاربة الإسلام على يد يزيد، ولعل الأبيات التي تمثّل بها:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل٨٩

تُدلل على النهج الأموي.

المنهج الأموي والقضاء على الإسلام.

سعى الإمام الحسين عليه السلام لمقارعة المنهج الأموي، الذي لا يمثل بُرهة زمنية محدودة كقيادة حاكم منحرف ثم موته ليخلفه آخر دون أن يتجذر ذلك الانحراف في العقائد والأفكار والرؤى والمفاهيم، وقد أدرك الأمويون كساسة وقادة أنهم لا يتمكنون من القضاء على الشريعة الإسلامية فأبدلوا التخطيط إلى آخر يصب في صالح المنفعة الذاتية للبيت الأموي وللمقربين منهم، وقاموا بتحريف بعض أحكام الشرع الحنيف ليصب ذلك في صالح الحزب الأموي.

البعد الديني للمنهج الحسيني.

إنّ تغيير الخطة الأموية وتبديل المنهج من القضاء على الإسلام واجتثاث أصول العقيدة إلى المنفعة الذاتية وإنْ أبقى الأمة الإسلامية في التخلف والمحسوبيات، إلا أنه حقق مكاسب كبيرة للإسلام، وفتح الباب أمام المخلصين والغيارى من الأمة ليتحركوا لنصرة الإسلام والإبقاء عليه، وكانت الثورة الحسينية متميزة بقيادتها الحكيمة، حتى عرف الإسلام بأنه محمدي الوجود حسيني البقاء، وما كان للإسلام أن يبقى لولا ثورة الإمام عليه السلام.

٨- بحار الأنوار للمجلسي ج33 ص203.

٨- مدينة المعاجز للبحراني ج4 ص140.

النتائج الوخيمة لخلافة يزيد.

جسّد يزيد بن معاوية الظلم والانحراف بكل صوره، وتجلى ذلك بوضوح في سنوات خلافته، ففي الأولى قتل الإمام الحسين عليه السلام ، وفي الثانية حدثت واقعة الحرة في المدينة ـ العاصمة الدينية المقدسة للمسلمين أُبّان تلك الفترة لما يتواجد فيها من صحابة النبي ﷺ والتابعين وطلائع الأمة ـ وقام يزيد بإذلال المسلمين وإباحة المدينة لجيشه، الذي اعتدى على النساء والأعراض، ولم يبقِ لأحد حرمة، وأخذ البيعة من أهل المدينة كعبيد أرقاء له شخصياً ومن لم يقبل ذلك يُقتل، وفي الثالثة رمى الكعبة بالمنجنيق ـ المدفعية في ذلك الزمان ـ وأحرقها وهدمها، وينم ذلك عن منهج مخطط له يراد به استعباد الأمة وتغيير مسارها من مسار توحيدي يخضع للقرآن الكريم وما جاء به المصطفى ﷺ إلى مسار أموي بحت لا يؤمن بوجود شريعة.

آثار الثورة الحسينية.

ترتب على ثورة الإمام الحسين عليه السلام فوائد جليلة أهمها:

الأولى: إيقاظ الأمة.

تحققت أول ثمرة للثورة الحسينية وهي يقظة ضمير الأمة، فأصبحت تُرجح المبادئ والقيم والآخرة على الدنيا وما فيها، ثم توالت الثورات متعددة ومتأثرة بثورته عليه السلام مما أدى أن يُغير الأمويون منهجهم المحارب للإسلام إلى إبراز أنفسهم كدعاة للإسلام كي لا يُقضى عليهم، وهذا التغيير في المسار أثر من الآثار المباركة لثورة الإمام عليه السلام.

الثانية : تغيير الخطة الأموية.

مرّ علينا في الكلمات التي صدرت ودونها التأريخ عن زعمائهم التشكيك في الشريعة الإسلامية وإذا كان حال خلفاء المسلمين وحكامهم آنذاك عدم الإيمان بالإسلام، كيف يؤمن عامة الناس بما لا يؤمن به القادة ؟! غير أنّ المسار تغيّر وسرعان ما أظهر كل حاكم من الأمويين بل وغيرهم أنه يحكم باسم الإسلام، ويسوس الناس من أجل مصلحة المسلمين، وهذا أثر عظيم تحقق بالثورة الحسينية.

الإمام الحسين يستشرف المستقبل.

تبين كلمات الإمام الحسين عليه السلام التي أطلقها كقوله ـ {ألا ترون الحق لا يُعمل به، و الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ

برماً}[9] أنه عليه السلام يستشرف المستقبل ويرى أنّ بقاء الحكم الأموي على ما هو عليه وتطبيقه لخططه المشؤومة لن يبقي للإسلام أثراً، فما كان منه عليه السلام إلاّ أن يثور ويقاوم الانحراف الذي سيقضي على أسس الإسلام، بحيث لا يبقى منه إلا ما كتبه التأريخ من أنّ هناك شريعة جاءت وآمن بها بعض الناس برهة زمنية محدودة ثم انقلبوا عنها.

إفشال المخطط الأموي.

إذن يمكن أن نُعبر عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام بأنها تغيير مسار، إذِ الإمام عليه السلام دفع أعظم الضررين عن الإسلام، فهناك فرقٌ بين أن يخطط الأمويون للحصول على منافعهم من ناحية مادية لتوافر الأمور لهم وبين أن يخططوا للقضاء على الإسلام، والإمام عليه السلام ثار ليغير المسار الأول، وإن بقي الحكام يحصلون على مصالحهم المادية، فذلك لن يضر الشريعة وبقاء الإسلام، بل أنّ الدين وإنْ مرض على يد الأمويين إلاّ أنه سيشفى لأنّ مفاهيم الشريعة الإسلامية ستبقى راسخة باقية وإنْ لم تأخذ الفاعلية والحيوية في أذهان الأمة الإسلامية غير أنه سيتاح للمسلم الواعي لدوره الرسالي التعرف على الهدف من هذه الشريعة والغاية من خلق الإنسان، وسيصحح مساره، ولن يؤثر ذلك الحكم عليه، وإنْ أثّر على بعض المفاهيم، إلا أنّ روح الرسالة لن تتأثر، بل ستبقى صالحة لكل الأجيال، وما أحدثه الأمويون من ركام زائف سيتلاشى ليصل الإنسان إلى الحقيقة، ويعي الفكر السليم الذي جسده الحسين وأصحابه عليه السلام.

الإمام الحسين يواجه الطغيان الأموي.

إنّ ثورته عليه السلام تجسيد عملي لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾(الأحزاب ٣٩) فهو عليه السلام لم يخشَ الأمويين، الذين لم يبقوا لأحد كرامة ولا ذمة، بقتل واستئصال شأفة المعارضة، وأخذ البيعة من الصحابة والتابعين وشخصيات المجتمع ليكونوا عبيداً أرقاء ليزيد، ومن يخالف ذلك مصيره القتل، أي أنّ ثورة الإمام عليه السلام قلبت تخطيط الأمويين وجعلتهم يهتمون بمنافعهم ومصالحهم، وهذا ما عليه الحال إلى يوم الناس هذا، فمن يصل إلى الحكم لا يستطيع أن يُعلن معارضته للإسلام، حتى وإن لم يكن مؤمناً به كدين، وأقصى ما يستطيع أن يحققه الحصول على منافعه الشخصية.

٩- بحارالأنوار للمجلسي ج44 ص192.

الأمويون وانتهاك القانون

قال رسول الله ﷺ: {حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط}[٩١]

بقاء الدين بالحسين عليه السلام.

النصوص الواردة عن النبي ﷺ في الإمام الحسين عليه السلام كثيرة ومتعددة، غير أنّ من أهمها، ما أوردناه، {حسين مني وأنا من حسين}، إذْ يكشف فيه النبي ﷺ أنّ بقاء الرسالة وديمومة الدين واستمرار الإسلام يرتبط بالحسين عليه السلام {وأنا من حسين}، أي أنّ استمرار وجود النبي ﷺ وبقاء ذكره محموداً يرتبط بالشريعة المقدسة والإسلام، وبقاء الشريعة يرتبط بالقانون والقيم وتطبيق هذه الشريعة لم يكن يتأتى إلا بدفاع الحسين عليه السلام وذوده عن مبادئها وقيمها.

الإمام الحسين عليه السلام يشجب ممارسات الأمويين.

بينا في البحث السابق التخطيط المدروس للأمويين للقضاء على الإسلام، وهناك مفردات متعددة وأعمال شنيعة مارسها الأمويون ضد مبادئ الشريعة السمحاء وأحكام الرسالة، ولم تكن هذه الممارسات خُفية، بل كانت تمارس علناً وجهراً مما يُزيل حرمة الشريعة وقداسة القانون، وكان الحسين عليه السلام يندد بتلك الممارسات ولا يخاف في الله لومة لائم، لأنّ السكوت عن تلك الممارسات السيئة يؤدي إلى اضمحلال الشريعة وسقوط القانون الإسلامي أمام كل المسلمين.

الالتزام بالعهد بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية.

من كتاب لإمامنا الحسين عليه السلام إلى معاوية يبين فيه عليه السلام أنه لا يريد الخروج على معاوية، لوجود سبب رئيس أشرنا إليه، وهو وجود ميثاق بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، بأن ترجع الخلافة للإمام الحسن عليه السلام بعد هلاك معاوية وللإمام الحسين عليه السلام إنْ حدث للإمام الحسن عليه السلام سوء، فالخلافة ستؤول للحسين عليه السلام طبقاً لبند دستوري موقع عليه بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام غير أنّ معاوية لا يراعي للعهود والمواثيق حرمة بل صرح مجاهراً بأنّ كل عهد أعطاه فهو تحت قدمه.

٩- مدينة المعاجز للبحراني ج4 ص155.

حرمة القانون في نهج الإمام الحسين.

أبان الإمام الحسين عليه السلام في كتابه لمعاوية أنّ ما بلغك عنّي من الإعداد للخروج عليك لا تُصدقه، لوجود ميثاق وعهد، والأئمة من أهل البيت عليهم السلام لا ينقضون الميثاق، وديدنهم إرادة المصلحة العامة للأمة الإسلامية، ويرجحون إبقاء حرمة القانون ومصلحة المسلمين لرقي وتكامل الإسلام، قال عليه السلام: {وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني فإنه إنما رقاه إليك الملاّقون المشاءون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله إني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليّك وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظلمة وأولياء الشيطان}[٩] يبين الإمام عليه السلام أنه وبالرغم من وجود معاهدة إلا أنه خائف من الله تعالى في عدم القيام والثورة على حكم معاوية، وكأنه عليه السلام يشخص المشكلة في وقوعه بين محظورين:

أحدهما: مراعاة القانون.

والآخر: الانتهاكات الصريحة لقيم الإسلام التي تُعرض المسلمين للسخط الإلهي، ويصرح عليه السلام بأنّ حاشية معاوية الفاسدة، تمارس الدهاء والخديعة، وأنهم من حزب الظلمة وأولياء الشيطان.

الانتهاكات القانونية للمنهج الأموي.

ثم يعدد عليه السلام بعضاً من تلك الانتهاكات:

الأول: قتل حجر بن عدي ونقض العهد.

قال عليه السلام: {ألست القاتل حِجْراً أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا يُنكرون الظلم، ويستعظمون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم ؟ ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة}، حِجْر ومن معه من العباد الأتقياء الورعين كانوا يمارسون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقضى عليهم معاوية، لأنه يحارب المؤمنين المصلين الصديقين، وذلك قتل للنفوس المحرمة البريئة قام به معاوية، رغم حرمته بنص الكتاب، وجزاؤه الخلود في النار، وهو محاربة لله تعالى وانتهاك صارخ للقرآن الكريم بقتل طلائع الأمة والشخصيات اللامعة المعروفة بالعبادة والنسك وتبيان الأحكام الشرعية، وكان يجاهر به معاوية، ولا يعتد بقتل المخلصين الأتقياء الصالحين، الذين ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلهم ظلماً وعدواناً، إنّ قتل حجر ومن معه انتهاك لأكثر من قانون إلهي، إذ أنّ معاوية أعطاهم أيماناً مُغلظة، وأقسم بالله أن لا ينالهم سوء ولا يمسهم شر، ثم حنث بيمينه وخان بعهده، قال عليه السلام: { من

٩- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص212.

بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم}٩٣أي، لا تمسهم بسوء غير أنّ معاوية قتلهم ونقض الأيمان المغلظة، وقوله عليه السلام:{ لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافا بعهده }، يؤكد الإمام عليه السلام أنّ المواثيق والعهود كانت على معاوية مشددة في أن لا يتخذ ضدهم أي عقوبة على أساس حقد أو عداوة سابقة، لكنه لم يلتزم بذلك.

الثاني: قتل عمرو بن الحمق الخزاعي.

ويذكر عليه السلام انتهاكاً آخر لمعاوية، ((أو لست قاتل عمرو بن الحمق ، صاحب رسول الله ص، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فأنحلت جسمه وصفّرت لونه))، يبين الإمام عليه السلام لمعاوية أنّ الأمة كانت تُقدس الصالحين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصحبتهم وصلاحهم، وعمرو بن الحمق الخزاعي من أصحاب رسول الله ص، وهو عبد صالح، وصفه عليه السلام بأنه وصل إلى هذه المرتبة لإيمانه والتزامه بأحكام الشريعة، وهو مشهور بنسكه وعبادته، حتى أبلت العبادة جسمه فأصبح نحيلاً، واصفَّر لونُه، لكن معاوية تعامل بالغدر مع الصالحين الذين يضيئون العتمات المدلهمة في المسلمين، وأعطى لهذا الصحابي الأمان والعهود أن لا يمسه بسوء ثم غدر به وقتله، قال عليه السلام :{بعدما أمّنته وأعطيته من العهود ، ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال }، أي أنّ الطير لو أُعطي هذه المواثيق وهو على جبل لنزل منه، لكونها مغلظة، ومع ذلك لا يرى معاوية قيمةً للعهد ولا اعتباراً، استخفافاً به، وينتهك القانون على صعيدين:

الأول : قتل النفوس البريئة خصوصاً الصديقين الصالحين من الأمة.

الثاني: نقض العهود والمواثيق والأيمان المغلظة.

سر خلود الثورة الحسينية

انتهاك الأمويين المتكرر للقانون على أكثر من صعيد يعرفنا السر العظيم لثورة الإمام الحسين عليه السلام التي جعلت الإسلام باقياً وخالداً.

٩٣- أعلا م الشيعة للأمين ج1ص583، (انا من بعد ما أعطيتهم الايما م المغلظة والمواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كا م بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافا بعهده أ ولست قاتل عمر و بن الحمق صاحب رسول الله ص العبد الصالح لما ي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه ، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من ؤ وس الجبال أ ولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد من ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك).

المنهج الأموي في مواجهة الإسلام و الأمة

لا زال الكلام موصولاً حول انتهاكات الأمويين التي مثلّت تخطيطاً مدروساً للقضاء على أُسس الإسلام، وقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام هذه الانتهاكات، وضرورة الوقوف في وجهها لئلا يتمادى الأمويون بعد ذلك ويُرغِمون الناس على ترك الإسلام قسراً.

الانتهاكات القانونية للمنهج الأموي.

استعرضنا بعضاً من تلكم الانتهاكات في رسالة وجهها الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية، ونواصل ذكر هذه الانتهاكات:

أولا: خرق الأحكام الشرعية.

من الانتهاكات التي ذكرها الإمام عليه السلام لمعاوية قوله: {أو لست المدعي زياد ابن سمية، المولود على فراش عُبيد ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الولد للفراش، وللعاهر الحَجَر) ٩٤}

٩- بحار الأنوار - للمجلسي ج44 ص213، من نص كتاب الامام الحسين لمعاوية: (أ ولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف ، فزعمت أنه ابن أبيك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله " الولد للفراش وللعاهر الحجر " فتركت سنة رسول الله تعمدا وتبعت هواك بغير هدى من الله ، ثم سلطته على العراقين : يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل ، كأنك لست من هذه الأمة ، وليسوا منك . أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه أن : اقتل كل من كان على دين علي ، فقتلهم وشل بهم بأمرك ، ودين علي عليه السلام لله لا يكاد يضرب عليه أباك ويضربك ، به جلست مجلسك الذي جلست ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين. وقلت فيما قلت : " انظر لنفسك ولدينك لأمة محمد ، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنة " وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعلم نظرا لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله علينا أفضل من أن أجاهدك فإن فعلت فإنه قربة إلى الله ، وإن تركته فاني أستغفر الله لذنبي ، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري. وقلت فيما قلت " إني إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني " فكدني ما بدا لك ، فاني أرجو أن لا يضرني كيدك في ، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك ، وتحرصت على نقض عهدك ، ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقنا ، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا . فأبشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أن لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وليس الله بناس لأخذك بالظنة ، وقتلك أولياءه على التهم ، ونفيك أولياءه من دار

من القوانين التي ترجع إلى مسائل النكاح، نسبة الأبناء لآبائهم، ومن تلكم المسائل قضية زياد ابن أبيه، الذي لا يعرف أبوه، وقد اجتمع على زياد عِدةٌ من الرجال، كلٌ يدعي أنه ابن له، ولذلك سمي زياد ابن أبيه، لكونه مجهول الأب، لادعاء أكثر من شخص بأنه هو الذي وطأ أمه فأولدها بزياد، أي أنّ أمه زانية في الاصطلاح الشرعي، غير أنّ معاوية بعد أن استتب له الأمر، كان في حاجة إلى شخصية تتمتع بمهارات قيادية كبيرة، وقد توافرت هذه المواصفات في زياد بن أبيه، غير أنّ مشكلته في نسبه المجهول، وكان العرب ولا زال ديدنهم الافتخار بالنسب إلى يوم الناس هذا، وإنْ خفّ ذلك، غير أنّ أبناء الزنا رتبتهم أقل في المجتمعات، ومع كون زياد يتمتع ببعض المواهب إلاّ أنه يريد أن يثبت أنّ أباه أبو سفيان والد معاوية، على حساب انتهاك قانون شرعي في باب النكاح، في أنّ الولد ينسب لأبيه الذي ولدته أمه على فراشه، ولا ينسب لغيره.

حقيقة نسب زياد.

وُلد زياد بن أبيه على فراش عُبيد ثقيف كما قال الإمام الحسين عليه السلام، غير أنّ معاوية ـ لما رآه يتمتع بقدرات قيادية وليس لديه ضمير بل عنده استعداد لانتهاك الحرمات، لنقص نسبه ـ ألحقه به، ورأى فيه غنيمة باردة، فأدعى أنه أخوه، وبعد ادعاء الأخوة انضم إلى جنبه، ونفذ له كل ما يريد، وأصبح آلةً طيّعة في تحقيق ما يريده معاوية، ومارس البطش والقتل والأخذ على الظنة والتهمة، بمجرد أن يظن في شخص أنه يوالي علياً وأهل البيت عليهم السلام يقتله، فضلاً عما إذا كانت هناك أدلة على موالاة أهل البيت عليهم السلام فيؤخذ بجريرته بنحو أعظم وأكبر.

ثانياً: ترك سُنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية :{فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعمداً واتبعت هواك بغير هُدىً من الله، ثم سلطته على العراقين}، يقصد من العراقين تأميره على البصرة والكوفة، باعتبارهما أهم مدينتين في العراق أُبان تلك الفترة، وكان تعامل زياد مع المسلمين بطريقة وحشية عبّر عنها الإمام الحسين عليه السلام بقوله: {يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويُسمِل أعينهم}، بطش زياد بالمسلمين من أجل بقاء حكومة ديكتاتورية من الطراز الأول، وإن حاول بعضٌ أن يصف معاوية بأنه حليم، إلا أنّ هذا ليس بحلم، حتى لدى من عاصر معاوية، فعندما قيل للحسن البصري بأنّ معاوية حليم، قال وهل أغمد سيفه فترة من الزمان حتى يتمتع بالحلم، أي أنّ معاوية لا يقتل بنفسه، لديه أعوان في مملكته يمارسون

الغربة ، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حدث : يشرب الخمر ، ويلعب بالكلاب لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وبترت دينك وغششت رعيتك وأخزيت أمانتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت الورع التقي لأجلهم والسلام) .

أفضع الجرائم والانتهاكات في حق الإنسان، هكذا كان معاوية الذي يُدّعى حلمه، فممارسات ولاته كزياد كانت في غاية البشاعة، {ثم سلطته على العراقين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم وُيسمِل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك}، يبين الإمام عليه السلام أنّ من يفعل ذلك ليس هو من أبناء هذه الأمة وليست الأمة منه.

ثالثاً: قتل الموالين للإمام علي عليه السلام.

وقال عليه السلام: {أو لست صاحب الحضرميين ـ مسلم بن زيمر وعبد الله بن نجي ـ الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين علي، فكتبت إليه أن اقتل من كان على دين علي، فقتلتهم ومثَّل بهم بأمرك، ودين علي ـ والله ـ الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك}، يوضح عليه السلام إحدى الجرائم التي ارتكبها معاوية حيث أرسل له زياد في الرجال الذين لديهم ولاء عميق لعلي عليه السلام، والولاء لعلي عليه السلام فرض في القرآن الكريم ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(الشورى:23)، ومن الطبيعي أن يكون المسلم موالياً لعلي وآل علي، غير أنّ من يمتثل القرآن في حب الإمام علي عليه السلام يتعرض للانتهاك، وعندما كتب زياد لمعاوية في شأن من كان على دين الإمام علي عليه السلام، أمره بقتلهم من دون مراجعته، ولم يكتفِ بالقتل بل، {مُثِّل بهم بأمرك}، لكونهم على دين الإمام عليه السلام {الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك}، ولولا الإمام علي عليه السلام وقتاله لما جلست مجلسك الذي جلست عليه، {وبه جلست مجلسك الذي جلست فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين}، أي، أقصى ما كان لدى العرب قبل مجيء النبي ص وجهاد المجاهدين وأبرزهم أمير المؤمنين عليه السلام، لكان أشرف ما لدى العرب رحلة الشتاء والصيف، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ*إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾(قريش:2-1)، كان شرف العرب وتقدمهم الاقتصادي رحلة الشتاء والصيف فحسب، وكان دين المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ودين علي عليه السلام وجهاد البررة هو الذي أعطى الشرف للعرب جميعاً بما فيهم معاوية.

رابعاً: نقض المواثيق.

ويواصل الإمام عليه السلام قائلاً: {ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقُتلوا ولم تفعل ذلك بهم إلاّ لذكرهم فضلنا}، القتل هنا ليس لشخص قاتَل ثم قُتل وليس بينك وبينهم حرب، بل قتلتهم خدعة وانتهاكاً للمواثيق، يؤكد الإمام عليه السلام على المخطط الأموي في استئصال من يسير على جادة الصواب ويوالي أهل البيت عليهم السلام، {ولم تفعل ذلك بهم إلاّ لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا}، هؤلاء كانوا من الموالين العمليين، أي، أنّ ولاءهم ليس عاطفياً، بل يظهرون ولاءهم لأهل البيت عليهم السلام بنحو عملي، ويبين عليه السلام لمعاوية

أنّ كل الجرائم والانتهاكات التي قام بها كانت للحفاظ على ملكه، وكان بإمكانه أن يحافظ على سلطانه دون هذه الجرائم، إذ أنّ هناك حكومات استتب لها الأمر دون أن تقترف جرائم وانتهاكات، فهل مجرد أنّ هؤلاء أظهروا الولاء بنحو عملي لأهل البيت عليهم السلام ومارسوا الإعلام بنحو ظاهر يستحقون الإبادة والاستئصال ؟! مع أنّ الأمة الإسلامية أُمرت بولاء أهل البيت عليهم السلام، {قتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يُدركوا}، أي، كان بإمكانك أن تستمر في ملكك إلى أن ينتهي بك الأجل دون أن يتأتى لهم أن يصلوا إلى الملك، أو ماتوا قبل أن يصلوا إلى الحكم.

نتيجة انتهاكات معاوية.

ثم قال عليه السلام: {فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة وقتلك أولياء الله على التهمة}، هذه الانتهاكات . التي مارسها معاوية وأعوانه كالمغيرة بن شعبة وزياد ابن أبيه . لن ينساها الله تعالى وينتظرهم العذاب جميعاً.

خامساً: تهجير من يتولى الإمام علي.

قال عليه السلام:{ونفيك أوليائه من دورهم إلى دار الغربة}، من الأمور التي مُورست تجاه من يوالي أهل البيت عليهم السلام التهجير إلى أماكن أخرى لا توالي أهل البيت عليهم السلام، أي مارس معاوية عملية تغيير ديمغرافي بالتغيير في التركيبة السكانية من وجود أكثرية توالي أهل البيت عليهم السلام في بعض الأماكن إلى أن يكونوا أقلية.

النظريات الإسلامية في الحكم.

ثم قال عليه السلام: { وأخذك الناس ببيعة ابنك غلامٍ حدثٍ}، وهذه نهاية المطاف حيث الطامة الكبرى باستخلاف يزيد، وهنا نُذكر بالنظريتين المختلفتين للحكم في الإسلام، نظرية البيعة التي يؤمن بها العامة، ونظرية النص التي يؤمن بها أتباع أهل البيت عليهم السلام، نظرية النص هي نظريتنا الواضحة التي تقول: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام إلى الإمام المهدي عليه السلام، أما نظرية البيعة فتدعي أنّ الأمة تُركت هملاً، ولم ينص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خليفة من بعده، وبالتالي، لابد لأهل الحل والعقد من الأمة أن يبايعوا شخصاً يرونه كفؤاً، ثم يصبح خليفةً على المسلمين.

معاوية يخالف الأمة في الاستخلاف.

عندما نتأمل بيعة معاوية ليزيد نجدها قد خرقت كلتا النظريتين، فلا نص عليه ولا على ابنه يزيد، ولم يتفق أهل الحل والعقد على مبايعة يزيد، بل جميع الأمة حتى كبار شخصيات الأمويين لا تريده.

أسباب عدم صلاحية يزيد للخلافة.

يمثل يزيد مسألة غاية في الخطورة، حتى للأمويين، الذين يمثلون حزباً، يقوم على أساس برغماتي، أي، أنّ هدفه الأساس الحفاظ على مصالحه بأي وسيلة من الوسائل، لذا، نجد مروان بن الحكم يعترض على معاوية اعتراضاً شديداً لاستخلاف يزيد، وبيّن أنّ الناس لا يرضون به من ناحية، لأنه يُشكل خطورة كبيرة على إنجازات الأمويين التي تحققت ضد الإسلام من ناحية أخرى، هذا رأي لأحد كبار الأمويين، ويظهر منه أنّ شخصية يزيد لم تكن خافية على الناس لأنه كان متجاهراً بمخالفة أحكام الإسلام على مرأى ومسمع من المسلمين، ويصرح بعدم إيمانه بالإسلام، ويعتبره لا قيمة له، فقد تمثّل بقول الشاعر:

لعبت هاشمٌ بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[٩٥]

السلوك العملي ليزيد.

قال عليه السلام : {وأخذك الناس ببيعة غلام حدث، يشرب الخمر ويلعب بالكلاب}، كان يزيد في أوائل عمره، لا يمتلك تجربة ولا نضجاً، بل يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، شاب مستهتر بجميع القيم الإسلامية والأخلاقية.

عواقب استخلاف يزيد.

ويواصل الإمام عليه السلام حديثه عن انتهاكات معاوية ليصل إلى تعداد العواقب الوخيمة لاستخلاف يزيد وهي:

الأول: خسران الدين.

قال عليه السلام: {لا أعلمُك إلاّ وقد خسرت نفسك وبترت دينك}، الخسارة الكبرى لمعاوية هي قطع الانتماء إلى الدين الإسلامي، وبتر ما يمت بينه وبين الإسلام بصلة.

الثاني: غش الناس.

٩- مدينة المعاجز للبحراني ج4 ص140.

قال عليه السلام: {وغششت رعيتك}، أي، جعلت الرعية يعيشون في تيه وضلالة.

الثالث: خيانة الأمانة.

قال عليه السلام: {وأخربت أمانتك}، الحكم أمانة لدى الحاكم، لا بد أن يُسلِّمه لمن يحمل مؤهلات خاصة، وما قام به معاوية خيانة للأمانة إذ سلّمها لمن لا يستحقها.

الرابع: استشارة السفهاء.

قال عليه السلام:{وسمعت السفيه الجاهل}، الخطأ الفادح هو استشارة غير المخلصين والمتملقين، كالمغيرة بن شعبة، الذي يتزلف لمعاوية، كي يُبقيه والياً على الكوفة، وقد أشار المغيرة باستخلاف يزيد، ومع أنّ معاوية لم يكن مرتاحاً من المغيرة إلا أنّ مشورته اتفقت مع ما يريده ويطمح إليه.

الخامس: إخافة الناس.

قال عليه السلام : {وأخفت الورع التقي لأجلهم}، يبلور الإمام عليه السلام تعامل الأمويين في إخافة الناس وإرعابهم لأجل تحقيق مقاصدهم.

نتائج الثورة الحسينية.

إذن رسخت ثورة الإمام الحسين عليه السلام مبادئ الإسلام وأصبح كما ذكر الحديث، {حسين مني وأنا من حسين}[٩]أي، أنّ خلود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلود الرسالة بثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهناك انتهاكات أُخر للأمويين غير أننا أوردنا بعض الانتهاكات التي وردت في رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية، لأنّ النص يُذكِّر المؤمنين والشرفاء بقضية الصراع بين المبادئ والقيم وبين البعد عن الحق.

٩- مدينة المعاجز للبحراني ج4 ص155.

الفصل الرابع: أثر الثورة الحسينية في حركة التأريخ.

رجال الثورة الحسينية وصنع التأريخ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة:٨) صدق الله العلي العظيم.

دروس من الثورة الحسينية.

في الثورة الحسينية دروس متعددة من أهمها اليقين العملي بالموت بأن يصبح المرء لا يخشى الموت، بل على استعداد أن يموت في أي لحظة في سبيل مبدئه.

إنّ مواجهة الموت مسألة أساسية يترتب عليها كثير من الآثار، ذلك أنّ الهزائم في التأريخ والمصائب ترتب بعضها نتيجة الخوف من الموت، فخوف الموت والتهديد به سبباً لتراجع بعض الناس عن مبادئهم.

مواقف الناس تجاه الموت.

واجه الحسين عليه السلام الخانعين الذين يرهبون الموت والبواسل الشجعان الذين لديهم استعداد أن يقدموا حياتهم قرابين في سبيل الله تعالى، وواجه المترددين في مواجهة الموت وبعض من لديه استعداد أن يموت إذا كان النصر في المعركة مع الحق، وكان الإمام عليه السلام يقف مع كل أنموذج بنفسه، ليعطي دروساً للتأريخ والإنسانية ولمن يقف معه، ولذا، يمكن أن نقسم الناس في موقفهم تجاه الموت إلى ثلاث طوائف:

الأولى: من لديه الاستعداد للتضحية.

طائفة لا تخشى الموت، بل لديها استعداد أن تضحي بنفسها ومالها في سبيل الله تعالى في كل لحظة غير أنها قد تنتهز الفرص ليكون لموتها أثر، وهناك من لا يفهم مقتضيات الحكمة رغم استعداده للموت، فقد يموت دون أن يكون لموته أثر، أما من يستشرف المستقبل ويقرأ الواقع ويعي الأحداث، فهو بالإضافة إلى استعداده للموت في كل لحظة وآن يترقب الفرص ليرى الوقت المناسب، وهذا ما ينطبق على الحسين عليه السلام، الذي كان بإمكانه أن يثأر في زمن معاوية إلاّ أنه يعلم أنّ آثار الثورة في زمن معاوية لن تكون بالمستوى المطلوب، أما بعده فآثارها سيكون لها المدى الأوسع والأفق الأبعد والتأثير

الأكبر، ولذلك أرجأ الإمام عليه السلام ثورته لما بعد موت معاوية، ويعود السبب في ذلك إلى اقتناص الفرصة والتلاؤم الزمني لثورته عليه السلام فيما بعد معاوية، فهي أفضل بكثير من الثورة في حياته.

صُنَّاع التاريخ.

من يضحي ويقتنص الوقت المناسب يصنع التأريخ، ويُغير المعادلات، والحسين عليه السلام الأنموذج الخالد، فهو مع الشهداء الأفذاذ الذين معه ومن سار في ركاب الأنبياء والرسل وكان من أصحاب المبادئ فقد أسهم في تغيير التأريخ، هذه النماذج تقدّم أنفسها في سبيل مبادئها ولا تتردد لحظة واحدة . مع اتصافها بالحكمة . باقتناص الوقت والظرف المناسبين للشهادة، أما من يُقدم نفسه دون فهم لمقتضيات الحكمة فإنّ استشهاده وإنْ كان مفيداً غير أنه ليس له الأثر المقطعي، بل أثر محدود، ولابد هنا من الإشارة إلى سمة هي أنّ هذا الصنف يشتري الموت ويدافع بضراوة في سبيل أن يموت موتاً مُغيراً، هذا الأنموذج هو الذي يغير الحضارات والتأريخ والمعادلات، والإمام الحسين عليه السلام ومن استشهد معه هم المصداق الأعظم له.

الثانية: من ليس لديه استعداد للتضحية.

عكس الطائفة الأولى من يَنشَدُّ إلى الأرض كما عبر القرآن الكريم: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾(الأعراف:١٧٦)، فإنّهم يصنعون الهزائم ويُغيرون التأريخ إلى الوراء بمعادلة القهقرى، ومن أبرز نماذج ذلك عمر بن سعد، فقد وقف الحسين عليه السلام شخصياً مع هذا الأنموذج وأراد أن يبين للناس كيف أنّ هذا الصنف لا يمكن أن يتغير، قال له الإمام الحسين عليه السلام: يا بن سعد أتقاتلني أما تتقي الله، الذي إليه مُعادك، فأنا ابن من قد علمت، ألا تكون معي وتدع هؤلاء فإنه أقرب إلى الله تعالى، فأجابه ابن سعد: أخاف أن تُهدم داري، فقال الحسين عليه السلام أنا أبنيها لك، فقال ابن سعد: أخاف أن تُؤخذ ضيعتي، فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فقال ابن سعد: لي بالكوفة عيال وأخاف عليهم من ابن زياد القتل، فالإمام عليه السلام عرض على ابن سعد الكون معه ليربح الدنيا والآخرة غير أنه رفض ذلك وتعلل بأسباب شدته إلى الأرض وأبعدته عن الله تعالى وسلبته إنسانيته.

إنّ قول الإمام عليه السلام: (أتريد أن تقتلني ...)[٩] هو عرض عليه كي يربح الدنيا والآخرة مع أني شخصياً لا أعلم تفسير ربح الدنيا إلاّ أني أشير إلى احتمال، لعل الإمام عليه السلام يشير إليه هو أنّ ربح

٩- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص389: انصرف عنه الحسين عليه السلام ، وهو يقول: (مالك ذبحك الله على فراشك عاجلا لاغفر لك يوم حشرك ، فوالله إني لأرجو أ نلا تأكل من بر العراق إلا يسيرا).

الدنيا بالذكر الحسن، لأنه لا ربح دنيوي في كربلاء، والربح أخروي كله، غير أنّ الإمام عليه السلام يعرض معادلة إلهية لأنّ عمر بن سعد وإنِ انضم إلى أصحاب الحسين عليه السلام فسيبدل بغيره قائداً للجيش بدلاً عنه، والذكر الحسن الذي أشرنا إليه هو ربح للإنسان، والإمام الحسين عليه السلام عرض ذلك غير أنه وجد أنّ عمر بن سعد شخصية بعيدة كل البعد عن قيم السماء ومنشدة كل الانشداد إلى الأرض، وقوله (أخاف على داري أن تهدم، وأخاف على أموالي أن تؤخذ، وأخاف على أهلي أن يقتلوا) ذرائع من أجل نيل إمارة الري والإمام عليه السلام أراد أن يسجل درساً عملياً بأنّ هذه الفئة من الناس لا يفيد معها ما يقدم لها من عطاء لأنّ الخوف يملأ كل وجدانها النفساني، فلا بارقة لتتحول هذه النفوس المريضة إلى الخير، غير أنّه عليه السلام رسم الملامح العامة والمعالم الكبيرة ليتاح للإنسان فيما بعد أن يقف على ما يريد أن يوضحه الإمام عليه السلام للأجيال، ذلك أنّ الإنسان قد يصل إلى هذا المستوى من الانشداد إلى الأرض فيفرط بكل القيم والخيرات فلا يكون لديه استعداد لعمل الخير وقد تركه الإمام عليه السلام وقبّح عمله بل لعنه عليه السلام ودعا عليه، فأصبح مطروداً عن رحمة الله تعالى.

الثالثة: من له استعداد للتضحية مع المصلحة.

هناك من تتوافر فيه بعض سمات الخير ولديه استعداد لنصرة الحق إذا رأى أنّ النصر معه أما إذا رأى أنّ الغلبة للباطل ترك الحق لعدم وجود قيم تدعوه إلى نصرة الحق والوقوف معه، غير أنه لا ينبغي الوقوف على حياد إذا غَلب الباطل، بل لابد من نصرة الحق، لأنّ الواقع لا يتغير إلاّ بالوقوف مع الحق، ولا ينبغي لصاحب المبدأ إلاّ أن يقف معه، لأنّ غلبة الباطل لا تعني اندثار الحق والغلبة المادية ليست هي المقياس، والحسين عليه السلام وأصحابه قُضي عليهم، وقُتلوا لأنهم انتصروا لقيم العدل والحق والفضيلة، والمسألة لا ترجع إلى معادلات عالم المادة فحسب، بل إلى مبادئ قيمية غير قابلة إلى الأُفول والزوال، لقد وقف الحسين عليه السلام مع هذا الأنموذج، وأراد أن يُعلم الناس ما ينبغي أن يفعلوه، وهو مع علمه بمصرعه من جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما صرح بذلك بقوله: {وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء}[٩٨]

غير أنه دعا الناس إلى نصرته، وكان ممن دعاه إلى نصرته عبيد الله ابن الحر الجعفي، رجل شجاع، محب لنصرة الحق، بشرط أن تكون الغلبة مع الحق، عندئذ لديه استعداد أن ينصره، أما إذا كان الحق مرجوحاً سيُغلب فليس لديه استعداد لنصرته، بل يريد أن يبتعد ليحظى بالسلامة على نفسه، هذه معادلة خاطئة، إذْ لابد أن يقف الإنسان مع الحق مهما كلفته الظروف، لأنّ المسألة مسألة تأريخ وقيم وموازين غير قابلة للأفول والتغير، دعا الإمام الحسين عليه السلام عبيد الله بن الحر الجعفي وكان قد وقف في

٩- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص367.

مكان وقف فيه الحسين عليه السلام فأرسل إليه الإمام عليه السلام رسولاً، فقال عبيد الله للرسول: ما ورائك ؟ فقال: ورائي والله يا بن الحر الخير إنّ الله تعالى قد أهدى إليك كرامة عظيمة إنْ قبلتها، فقال عبيد الله: ما ذاك ؟ قال الرسول: هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته فإنْ قاتلت بين يديه أُجرت وإنْ قُتلت استُشهدت، فقال عبيد الله: والله ما خرجت من الكوفة إلاّ مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها لا أنصره فإنه ليس له شيعة ولا أنصار إلاّ مالوا إلى الدنيا وزخرفها إلاّ من عصم الله منهم فارجع إليه وأخبره بذلك، فجاء الرسول إلى الحسين عليه السلام وأخبره، فقام الحسين عليه السلام بنفسه وأجرى معه حواراً، طلب منه نصرته والجهاد في سبيل الله معه، فقال عبيد الله: يا بن رسول الله لو كان في الكوفة لك شيعة وأنصار يقاتلون معك لكنت أنا من أشدهم على عدوك، لكن يا بن رسول الله رأيت شيعتك في الكوفة قد لزموا منازلهم خوفاً من سيوف بني أمية فأنشدك الله يا بن رسول الله أن تطلب مني غير هذه المنزلة وأنا أواسيك بما أقدر عليه، خذ إليك فرسي هذه فوالله إني ما طلبت عليها شيئاً قط إلاّ وقد لحقته ولا طُلبت قط وأنا عليها فأُدركت، وخذ سيفي هذا فوالله ما ضربت به شيئاً إلاّ أذقته حياض الموت، قال له الحسين عليه السلام: يا بن الحر إنّا لم نأتك لفرسك وسيفك إنما أتيناك نسألك النصرة فإنْ كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا بشيء من مالك، وما كنت متخذ المضلين عضدا ، ولكن فر ، فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا ، كبه الله على وجهه في نار جهنم [٩]

ونلحظ في الحوار أنّ معظم أهل الكوفة أصبحت قلوبهم مع الحسين عليه السلام يتمنون نصرته، وسيوفهم بالترغيب والترهيب ضده عليه السلام، ليس لديهم استعداد لنصرته، إلا أنهم مع الناس الذين يعيشون الحسرة والألم فيما بعد عندما يتجلى لهم الواقع لضميرهم الحي الذي يريد الخير إلا أنه لا يعمل له، وقد ردّ الحسين عليه السلام عليه بحديث عن جده صلى الله عليه وآله قال: {من سمع بواعية أهل بيتي ثم لم ينصرهم على حقهم كبه الله على وجهه في نار جهنم}، وأراد الإمام الحسين عليه السلام أن ينبهه لتقرير مصيره الواضح البين، فهل يريد أموالاً أم سلامةً ؟ ثم أبان الإمام عليه السلام أنه لا حاجة له بالمال ولا السلاح وحاجته للإنسان الذي يصنع التأريخ ويغير الواقع وعندما أدرك عبيد الله الجعفي فيما بعْد أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام فريدة من نوعها تغير معادلات التأريخ، ندم على ذلك، ولات حين مندم.

٩- بحار الأنوار ج44 ص315: ثم سار الحسين حتى نزل القطقطانة فنظر إلى فسطاط مضروب فقال : لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبد الله بن الحر الجعفي فأرسل إليه الحسين عليه السلام فقال : أيها الرجل إنك مذنب خاطئ وإن الله عز وجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فتنصرني ، ويحك ن بجد ي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى . فقال : يا ابن رسول الله والله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك ، ولكن هذا فرسي خذه إليك فوالله ما ركبته قط وأنا أر وم شيئا إلا بلغته ، ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه ، ف ذلك فخذه ! فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه ثم قال : لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك ، وما كنت متخذ المضلين عضدا ، ولكن فر ، فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا ، كبه الله على وجهه في نار جهنم .

وقفة مع كهول أنصار الطف.

إنّ أصحاب الخلود الذين غيروا التأريخ وصنعوا الحضارة المعنوية للبشرية، يشترون الموت بأنفسهم، والموت لا يأتي إليهم وإنما يذهبون إليه وقد كان أصحاب الحسين عليه السلام كما ورد في كلماتهم يفصحون عن هذا المعنى فهذا زهير بن القين مع أنه عثماني الهوى، أي أنه مع الأمويين، إلاّ أنه عندما رأى الحق غيَّر مسلكه، وقال زهير بن القين عندما سمع خطبة الإمام الحسين عليه السلام: سمعنا يا بن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لأثرنا النهوض معك على الإقامة فيها، وقال أيضاً: والله وددت أني قتلت ثم نشرت حتى أُقتل كذا ألف مرة وأنّ الله عز وجل يدفع ذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

وهذا حبيب بن مظاهر الأسدي شيخ طاعن في السن، وله عذر إذا أراد أن يعتذر غير أنّ لديه استعداد أن يُقدم نفسه قرباناً في سبيل الله تعالى رغم تقدم عمره، فروحه شابة، وقد كان من قُراء القرآن العلماء ومن العباد النُساك حيث قال في محاورته مع مسلم بن عوسجة: لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك فلما أوصاه بأن يموت دون الحسين، قال أفعل ورب الكعبة.١٠٠

وقفة مع شباب أنصار الطف.

الصنف الآخر هم الشباب الذين يعيشون غضاضة الحياة ولم يستمتعوا بكثير من ملذاتها ولهم توق للبقاء طويلاً غير أنّ بعضهم أدرك المعادلة في سني عمره المبكرة، وعرف أنّ الحياة قيم ومثل ومبادئ توصل إلى الحق وليست مأكل ومشرب وملذات فحسب، لأنّ المرء مهما تمتع بالحياة فإنّ مصيره الموت ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الجمعة ٨) ، إنّ الشاب الذي أدرك معادلة الحياة وفكر في عاقبتها يقرر مصيره بسرعة فهذا عمرو بن جنادة الأنصاري رغم صغر سنه إلاّ أنه قال مخاطباً للحسين عليه السلام: إنّ أمي أمرتني بالجهاد دونك، ليبرز للحسين عليه السلام اندكاك العاطفة مع الواجب في الذود عن قيم الرسالة.

١- تاريخ الطبري للطبري ج4 ص331: ودنا منه حبيب ابن مظاهر فقال عز على مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة فقال له مسلم قولا ضعيفا بشرك الله بخير فقال له حبيب لولا أنى أعلم أنى في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين قال بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله وأوصيك بهذا الحسين أنتموت دونه قال أفعل ورب الكعبة.

موقف الإمام الحسين تجاه أصحابه.

وقف الإمام الحسين عليه السلام مع هذه النماذج والأصناف المتعددة كل على حدة وأعطاه وسام شرف مع ألمه البالغ عليهم حتى أنه قال عندما فقد الأكبر: {وعلى الدنيا بعدك العفا}[1] وقال عليه السلام في أنصاره: {إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر من أهل بيتي}[2]

١- بحار الأنوار للمجلسي ج45 ص44.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص392.

الحسين تجسيد اليقين بالموت

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨) صدق الله العلي العظيم.

نظرة الناس للموت.

استعرضنا نماذجَ متعددة لملاقاة الموت والانتقال إلى عالم الآخرة، واتضح أنّ الناس في ملاقاته على ثلاثة أقسام:

الأول: من أخلد إلى الأرض واتبع هواه فيريد أن يهرب منه، وأن يمكث في الحياة طويلاً.

الثاني: عكسه من يشتري الموت ويسعى إليه من أجل مرضاة الله تعالى.

الثالث: المتردد الذي لا يعرف كيف يشخص موقفه.

وبينا أنّ الذين يغيرون التأريخ ومعادلاته هم أصحاب القسم الثاني الذين يشترون الموت ويتوقون إليه لمرضاة الله تعالى.

اليقين العملي بالموت.

من أهم ما يتعلق بالموت اليقين العملي به، وقد أعطى الحسين عليه السلام دروساً عظيمة في تبيان اليقين العملي بالموت، الموت بدهي من الناحية النظرية إلاّ أنّه من الناحية العملية من الصعوبة بمكان، والقرآن الكريم والروايات يفصحان عن أنّ ملاقاة الموت أمر حتمي شاء الإنسان أم أبى فلا مفر له منه، وأنّ الحياة الدنيا وما يجري فيها من امتحان للإنسان بالسراء والضراء والشدة والرخاء من أجل أن يصل إلى ما قُدر له، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(الأنبياء:35)، ومفاد الآية واضح لا يحتاج إلى إيضاح.

الموقف العملي للإنسان من الموت.

إنّ ما يمر على الإنسان من خير أو سوء لامتحانه، غير أنّه يعيش شكاً واقعياً بالموت رغم يقينه به، بل يريد أن يطرده عنه بوهمه رغم علمه بأنّه حقيقة لا مفر منها وقد بيّن ذلك الأئمة من أهل البيت

عليهم السلام، قال الإمام الصادق عليه السلام: {لم يخلق الله عز وجل يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت}٣٠أي أنّ حقيقة الموت مخلوقة وتمثل يقيناً واقعاً للإنسان غير أنه يعيش مع هذا اليقين كالشك عملاً رغم علمه أنه سينتقل من هذه الدار إلى دار أخرى، يحاسب فيها على ما قام به وما قدَّم وأَخرَّ، وقد ورد هذا المعنى الآنف عن علي عليه السلام أيضاً قال: {ما رأيت إيماناً مع يقين أشبه منه بشك على هذا الإنسان إنه كل يوم يُودع إلى القبور ويشيع وإلى غرور الدنيا يرجع وعن الشهوة والذنوب لا يقلع. فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه ولا حساب يوقف عليه إلا موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويؤتم ولده لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشد النصب والتعب}٤٠كل يؤمن بملاقاة الموت إلاّ أنه في شكٍ منه ويتعامل معه بشكه، إذِ الإنسان في كل يوم يودع أناساً إلى القبور ويرى الجنائز التي يُذهب بها إلى المقابر إلاّ أنه لا يعتبر بذلك، وقول الإمام عليه السلام: {وإلى غرور الدنيا يرجع}، أي أنه رغم مشاركته ومشاهدته ذهاب الناس إلى الموت وانتقالهم من الحياة الدنيا إلاّ أنّه يغتر بها، وبما أُوتي إياه من مال وجاه.

الحذر من الموت.

يُسدي الإمام عليه السلام نصيحة، بقوله: {فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه، ولا حساب يقف عليه إلاّ الموت يبدد شمله}، ويحذر عليه السلام في نصحه من تأثير الذنب وملاقاة الحساب على الصغائر والكبائر والعلم بالموت الذي لا مفر منه، وأنه لا يمكن لأحد أن يُرجئ الموت المبدد للشمل والمفرق للجمع والمؤتم للولد، ويفصح عليه السلام أنه حتى إذا لم يكن للموت ما تقدم من آثار إلاّ أنه ينبغي الحذر منه والخوف بأشد النصب لأنّ الموت يأتي على حين غرة.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج6 ص127.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج6 ص137: مولانا عليا عليه السلام قال : ما رأيت إيمانا مع يقين أشبه منه بشك على هذا الانسا ن، إنه كل يوم يودع إلى القبور ، ويشيع ، وإلى غ ر و الدنيا يرجع ، وعن الشهوة والذنوب لا يقلع ، فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه لا حساب يقف عليه إلا موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويؤتم ولده لكا ن ينبغي له أ ن يحاذر ما هو فيه بأشد النصب والتعب ، ولقد غفلنا عن الموت غفلة أقوام غير نازل بهم ، وركنا إلى الدنيا وشهواتها ركو ن أقوام قد أيقنوا بالمقام ، و غفلنا عن المعاصي والذنوب غفلة أقوام لا يرجو ن حسابا لا يخلو ن عقابا.

علة الحذر من الموت.

ذلك أنّ الموت يهيمن على وجود الإنسان ويلازمه دون افتراق قال عليه السلام: {لأنّ الموت ألزم من ظلكم وأملك بكم من أنفسكم}[1]الإنسان مالك لنفسه، يتصرف فيها ويسيطر عليها غير أنّ الله تعالى له إحاطة به وهيمنة عليه أعظم من إحاطته بنفسه تكويناً، وولاية الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أولى به من نفسه تشريعاً، والموت أملك به من نفسه، ملكية تكوينية، فلا يستطيع دفع الموت إذا جاءه، ولا يتمكن أن يؤخره برهة زمنية ثم علل الإمام عليه السلام ذلك بقوله بأنّ كل معدود منقضي، الأيام معدودة وكل يوم ينتهي تنقضي برهة من عمر الإنسان وكل متوقع آتٍ.

حقيقة الموت.

فسر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حقيقة الموت عندما سُئل عنه، فقال: {على الخبير سقطتم}[1]إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(فاطر:14)، ثم أبان عليه السلام أنّ الموت على أحد ثلاثة أمور:

الأول: البشارة بالنعيم.

قال عليه السلام: {هو أحد ثلاثة أمور: إما بشارة بنعيم الأبد}، الموت بشرى لمن ينتقل من الدنيا إلى الآخرة بالخلود في النعيم إلى ما لا نهاية له، ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾(الواقعة91-88).

١- ميزان الحكمة للريشهري ج4 ص2957.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج6 ص153: عن أبي جعفر الجواد ، عن آبائه عليهم السلام قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : صف لنا الموت ، فقال : على الخبير سقطتم ، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه : إما بشارة بنعيم الأبد ، وإما بشارة بعذاب الأبد ، وإما تحزين وتهويل وأمره مبهم ، لا تدري أي الفرق هو ، فأما ولينا المطيع لامرنا فهو المبشر بنعيم الأبد ، وأما عدونا الخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد ، وأما المبهم أمره الذي لا يدرى ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله ، يأتيه الخبر مبهما مخوفا ، ثم لن يسويه الله عز وجل بأعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنا ، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عز وجل فإنه من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة.

الثاني: البشارة بالعذاب.

قال عليه السلام: {وإما بشارة بعذاب الأبد}، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾(الواقعة:94-92).

الثالث: التحزين والتهويل.

{وإما تحزين وتهويل}، يرى الميت أهوالاً ويلاقي ألماً وحزناً ولا يعلم بمصيره وإلى أي قسم يؤول أمره، {وأمرٌ مبهمٌ}[1] أي، لا يدري من أي الفرق، وذلك حال المترددين.

كيفية تجسيد اليقين العملي بالموت.

أعطى الحسين عليه السلام وأصحابه أعظم الدروس لمجابهة الموت بيقين عملي بالتأكيد على الصدق في القول والعمل ومتى صدق الإنسان في قوله وفعله، واتصف بالفضائل وتجنب الرذائل، تحقق لديه استعداد ويقين بالموت خصوصاً في حالة الحرب والبلاء، فإنّ حاله سيختلف عن الآخرين، لعلمه أنّه يجتاز مرحلة إلى أخرى، ويلاقي نعيم الأبد في جنات عدن.

أصحاب الحسين يجسدون اليقين بالموت.

كان الحسين عليه السلام وبعض أصحابه كلما اشتد البلاء ازدادت وجوههم إشراقاً واطمأنت نفوسهم سكينة ليقينهم العملي بالموت كما جاء ذلك في بعض الروايات، ونستعرض نموذجين:

الأول: عابس يستقبل الموت بنزع درعه.

عابس ابن شبيب الشاكري شجاع يُهاب منه، ولما برز إلى القتال، هابه الناس وقال أصحاب عمر بن سعد هذا عابس ابن شبيب الشاكري إشارة لشجاعته وإقدامه فتراجعوا عنه، فرمى درعه، ثم أمر عمر بن سعد أن يُرمى عابس بالحجارة، ولما استشهد ادعى أكثر من واحد أنه قتله، فقال لهم ابن سعد: لم يقتله واحد، بل اشترك الجميع في قتله.

الثاني: الضحك في ضراوة الحرب.

لقد استأنس بعض أصحاب الحسين عليه السلام بالموت وبرز إلى الميدان وهو يضحك، فقيل له إنّ هذه ليست بساعة ضحك قال: أضحك لأنه ليس بيننا وبين معانقة الحور إلاّ أن يميل علينا هؤلاء بسيوفهم يشير بذلك إلى نعيم الأبد الذي لا زوال له ولا اضمحلال.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج6 ص154.

ثمرات اليقين العملي بالموت.

لم يكن هذا اليقين العملي لكل أصحاب الحسين عليه السلام، بل كان لبعضهم، قال الإمام عليه السلام زين العابدين عليه السلام:{وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه}[1]توضح الرواية أنّ من وصل إلى هذه الرتبة هو بعض من معه، واستعرض عليه السلام بعض ثمرات اليقين بالموت، قال عليه السلام: {تزهر ألوانهم}، أي تُشرق وجوههم استبشاراً بالموت، {وتهدأ جوارحهم}، لا اضطراب لديهم بل هدوء في الجوارح، {وتسكن نفوسهم}، يعيشون الهدوء والسكينة والاطمئنان، وقد تعجب الأعداء من ذلك فقالوا انظروا إلى الحسين لا يبالي بالموت، إنّهم يتعجبون لانشدادهم إلى المادة وخلودهم إلى الأرض.

مآل الصابر بعد الموت.

قال الحسين عليه السلام لأصحابه: {صبراً بني الكرام ! فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم من البؤس والضراء إلى الجنات الواسعة والنعيم الدائم فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر}، يبين الإمام عليه السلام حقيقة لمن آمن بالله تعالى واتبع مرضاته بأنّ الآخرة هي النعيم المقيم غير أنه ينبغي الصبر لنيل ذلك {صبراً بني الكرام}، {فما الموت إلاّ قنطرة}، إنه جسر يجتاز به المؤمن البؤس والضراء، لأنّ الإنسان في الحياة الدنيا مهما كان عليه حاله حتى إذا كان يرفل في النعيم فإنه سوف يعيش البؤس والضراء، لأنّ الدنيا مُزج نعيمها ببؤسها وضراءها ولا نعيم خالص فيها، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، إنّه من لا يعرف الموت عملياً ولم يسر في الصراط المستقيم فإنّ الموت سوف يوصله إلى عاقبة سيئة.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج6 ص154: قال علي بن الحسين عليهما السلام : لما اشتد الامر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كا ن معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الامر تغيرت ألوانهم و ارتعدت فرائصهم و وجلت قلوبهم ، وكا ن الحسين صلوات الله عليه وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم ، وتهدئ جوارحهم ، وتسكن نفوسهم ، فقال بعضهم لبعض : انظر وا لا يبالي بالموت ! فقال لهم الحسين عليه السلام : صبرا بني الكرام ! فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنا ن الواسطة والنعيم الدائمة ، فأيكم يكره أ ن ينتقل من سجن إلى قصر ؟ وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب ،إ ن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أ ن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم ، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ، ما كذبت ولا كذبت .

مكتسبات اليقين العملي بالموت

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة:6،7).

صدق الله العلي العظيم.

دلائل اليقين العملي بالموت.

استعرضنا اليقين العملي بالموت عند الحسين عليه السلام وأصحابه، وذلك لما يترتب عليه من آثار ودلائل، منها:

الأول: تمني ملاقاة الموت.

الموقن بالموت عملياً لديه أُمنية بملاقاته، ويتمناه كما يتمنى الحصول على ما يشتاق إليه، إنّ تمني الموت علامة من علامات الصادقين المحقين – الصادق الذي يتطابق قوله مع فعله والمحق من يتطابق فعله مع قوله – أول علامة من علامات الموقنين بالموت الصادقين مع الله تعالى تمني الموت فلا يكفي اليقين بالموت دون تمنيه والشوق والتوق الكبيرين لملاقاته، وقد وردت نصوص تبين هذا المعنى قال علي عليه السلام: {فوالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى محالب أمه}[1] يمثلتاق الطفل إلى ارتضاع لبن أمه وكذا حال الصادقين الموقنين بالموت.

الثاني: الاطمئنان بالموت.

الاطمئنان بالموت حالة مسيطرة على من يتوق ويشتاق إليه، وقد أبان القرآن الكريم حالة الرضا والاطمئنان للصادقين مع الله تعالى، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(الفجر:30-27)، إذن السكينة والهدوء علامة من علامات المشتاقين إليه.

الثالث: الاستبشار بالموت.

إنّ الاطمئنان والرضا بالموت ليس حالة وجدانية يعيشها الإنسان مع نفسه بل لها آثار تظهر على محياه، وكما أنّ لقاء الحبيب بحبيبه فيه استبشار وبهجة كذا حال الصادقين الذين يتوقون إلى الموت،

١- بحار الأنوار للمجلسي ج29 ص141.

هذه الحالة بادية عليهم وعكسها لغير الصادقين وقد شُرح ذلك بالتفصيل في نصوص روائية تبين لنا حقيقة ملاقاة الموت قال الإمام الجواد عليه السلام لما سُئل : {لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله حقاً لأحبوه ولَعَلِموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا، ثم قال عليه السلام : {يا أبا عبد الله، ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه ؟}١فقال : لجهلهم بنفع الدواء- الذي يجهل شيئاً ولا يعلم به يكون في الأعم الأغلب كارهاً لما يجهله - { قال والذي بعث محمدا بالحق نبيا إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو انفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج أما انهم ولو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه،}، بيّن الإمام عليه السلام أمرين: المعرفة الحقيقية للموت والولاية لله تعالى، ويترتب عليهما حب الموت، لأنه كالدواء ينفي الألم ويجلب النقاء للبدن كذلك من يستعد للموت يكون الموت أنفع له من الدواء للمريض في شدة مرضه، لعلمه أنّ الآخرة خير له من الدنيا، ثم قال الإمام عليه السلام: {أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه، أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة}، يريد العاقل أن يعيش صحة في بدنه فيتناول الدواء الناجع لدائه إذا عَلم بذلك وهو حازم غير متردد، بل يُعمل كل قدراته في الحصول على ذلك الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة.

اليقين بالموت في النصوص الروائية.

ورد في الروايات عن النبي ص والأئمة من أهل البيت عليهم السلام أنّ الموت تحفة وهدية للمؤمن جاء عنه ص: { تحفة المؤمن الموت }١وعن علي عليه السلام {ما أنفع الموت لمن أشعر الإيمان والتقوى قلبه}٢وقال صلى الله عليه وآله وسلم: {الموت غنيمة}٣أي أنه كنز يحصل عليه ذلك الميت، وعبر عنه علي عليه السلام أنه راحة السعداء.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج6 ص156: قيل لمحمد بن علي بن موسى صلوات الله عليه : ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت ؟ قال : لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبوه ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا . ثم قال عليه السلام : يا أبا عبد الله ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه ؟ قال : لجهلهم بنفع الدواء ، قال : والذي بعث محمدا بالحق نبيا إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج ، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة.

١- ميزان الحكمة للريشهري ج4 ص2961.

١- نفس المصدر السابق.

١- ميزان الحكمة للريشهري ج4 ص2962.

اليقين بالموت عند علي الأكبر.

هذه المعاني نجدها لدى الحسين عليه السلام وأصحابه، فعلي الأكبر عليه السلام، لما سمع أباه يسترجع بعد أن انتبه من غفوة، سأله عليه السلام مما استرجاعك يا أبتاه، قال الإمام عليه السلام: {يا بني اني خفقت خفقة فعن لي فارس على فرس وهو يقول القوم يسيرون والمنايا إليهم } يعرف الحسين وابنه عليهما السلام أنّ العاقبة هي الجنة، غير أنهما يُفصحان عن معنىً كبير للسالكين المحبين وهو أن يكون المرء مع الحق فلا يبالي وقد قال علي الأكبر لأبيه عليه السلام : أو لسنا على الحق ؟ قال عليه السلام: {بلى والذي إليه مرجع العباد}، فقال الأكبر عليه السلام: إذن لا نبالي أن نموت محقين[1]إنّ أصحاب الحسين عليه السلام وأبناءه البررة هذا منطقهم، وهو علامة للمحق الذي لا يبالي بموته، بل يراه سعادة وقد جاء هذا المعنى في كلام الإمام الحسين عليه السلام: {إني لا أرى الموت إلاّ سعادة}، وفي بعض التعبيرات إلاّ شهادة، وكلا التعبيرين صحيح، إذِ الشهيد يكون حياً مرزوقاً عند ربه وهو الذي يصل إلى أعظم الغايات وذلك معنى الوصول إلى السعادة أما من يعيش الذل والخنوع للمهادنة على الحق مع الظالم فيعيش الضجر والسآمة والملل قال عليه السلام: {والحياة مع الظالمين إلاّ برماً}[1]

اشتياق أصحاب الإمام الحسين للشهادة.

قد يتصور بعضٌ أنّ هذا المنطق للحسين عليه السلام كإمام معصوم، ولابنه لتربيته في حجر الحسين عليه السلام، وذلك لأنّ هؤلاء من سلالة الأنبياء والرسل، وقد اجتباهم واصطفاهم الله تعالى، فيختلفون عن بقية الناس غير أنّ الأمر ليس كذلك وقد مرت علينا الروايات التي أبانت أنّ من استعد للموت ووصل إلى هذه الرتبة كعابس بن شبيب الشاكري فإنه لما برز إلى ميدان الحرب وهابه الناس نزع درعه وألقى مغفرته من على رأسه، فقال له بعضهم: أجننت يا عابس، قال حب الحسين عليه السلام أجنني. وكان بعضهم يضحك عندما نزل إلى المعركة فقيل له ما هذه بساعة ضحك، فأجاب مستبشراً إنّ هذه الساعة هي الساعة القريبة للحصول على النعيم الدائم.

١- اعيا ن الشيعة للعاملي ج1 ص597.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص192.

حقيقة اليقين العملي بالموت.

هناك فارق كبير بين الظالم الكاذب والصادق المحق، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾(محمد:27)، وقد أبان الإمام الصادق عليه السلام ذلك عند مقايسة الصادقين المحقين مع الفجرة المبطلين، فقال عليه السلام: { للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه} أي لشدة تلك الرائحة المبهجة يصاب بشيء كالغفوة، {فينقطع التعب والألم كله عنه}، وأما الكافر والفاجر، أي غير الملتزم وغير الصادق مع الله تعالى ـ فإنّ الموت ـ {كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشد}، قيل له يا أبا عبد الله إنّ قوماً يقولون إنّه أشد من نشر بالمناشير، وقرض المقاريض، ورضخ بالحجارة وتدوير قطب الأرحية في الأحداق، فقال الإمام عليه السلام: {كذلك}، أي أنّ الموت نفس ما قيل، ونفس ما ورد في هذه التعبيرات {على بعض الكافرين والفاجرين}.

دروس الشهادة في مدرسة الحسين.

إنّ الحسين عليه السلام مدرسة تعلم الناس الاستشهاد في سبيل الله تعالى والسير لتحقيق الكرامة، وإيضاح أنّ الموت لمن كان صادقاً سعادة وشهادة ولا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وقد يظن بعض من لم يصل إلى هذه المرتبة أنّ ذلك جنون كما قيل لعابس غير أنه سعادة وشهادة وحب لله تعالى ولأوليائه.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج6 ص172: قيل للصادق جعفر بن محمد عليه السلام : صف لنا الموت ، قال : للمؤمن كأطيب طيب يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم عنه ، والكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشد قيل : إنه أشد من نشر بالمناشير ! وقرض بالمقاريض ! ورضخ بالأحجار ! وتدوير قطب الأرحية على الأحداق ، قال : كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين ، ألا ترى منهم من يعاين تلك الشدائد ؟ فذلكم الذي هو أشد من هذا لا من عذاب الآخرة فإنه أشد من عذاب الدنيا ، قيل : فما بالنا نرى كافرا يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدث ويضحك ويتكلم ، وفي المؤمنين أيضا من يكون كذلك ، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد ؟ فقال : ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه ، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيا ، نظيفا ، مستحقا لثواب الأبد ، لا مانع له دونه ، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفى أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب ، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاد حسناته ذلك بأن الله عدل لا يجور.

عاشوراء في خلودها التأريخي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:33)

صدق الله العلي العظيم.

نعيش وإياكم أيام الذكرى الأليمة والعظيمة لإمامنا الحسن (ع)، والتي يكمن فيها الألم من خلال الانتهاكات لمبادئ العدل والتعدي على الحرمات، وتتجلى عظمتها من خلال المواقف الباسلة التي وقفها إمامنا الحسين عليه السلام مع خُلص أصحابه وأهل بيته.

عظمة عاشوراء على مر العصور.

لا تختص عظمة عاشوراء بالبرهة الزمنية التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام مع حواريه وصحبه البررة، بل هي نبراس وضاء لكل الأجيال ومدرسة تُعلم الإنسانية جمعاء أهمية الحفاظ على قيم العدل، ومراعاة القانون والالتزام بالحق. إذِ الحسين عليه السلام مدرسة بكل ما تعطيه هذه الكلمة من دلالات ثرّاء، فهو عليه السلام علّم المظلومين طوال التأريخ كيف يستطيعون أن يقفوا أمام الجبروت والتسلط بالموقف الباسل والشجاع وتقديم المبادئ على المصالح، وهو عليه السلام الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله.

خصائص تميّز بها الإمام الحسين عليه السلام.

والمتتبع لسيرة الإمام الحسين عليه السلام يجد أنّ الله تعالى قد حباه من الصفات ما يعجز العالم عن التحدث عنها، كالكرم والشجاعة والإقدام والصبر في سبيل الله تعالى بل تجسدت كل الصفات الجميلة في شخصه عليه السلام، ورغم أنّ الخفاء والغموض شاب كثيراً من المعالم أُبان عهد معاوية لأنّ أكثر الناس لم يطلعوا على الواقع السياسي والاجتماعي للجور الذي مارسه الأمويون كمناهج عمل في شتى ميادين الحياة. غير أنه وبعد وضوح شيء من ذلك التعدي على معالم الرسالة الإسلامية ما كان من الحسين عليه السلام إلاّ أن يصبر وينتظر حتى تتضح المعالم ويتجلى الحق وتتعرف الأمة بشتى أطيافها أنّ الحق مع الحسن والحسين عليهما السلام وأنّ الخلافة نص من الله تعالى عليهما ولهما، لكنّ واقع تشخيص الناس للصواب والخطأ ومعرفة الحق من الباطل يختلف في كل عصر، نتيجةً للتشويه والإعلام المكثف، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «ولو أنّ الباطل خلُص» من الحق «لم يَخفَ على ذي حجى، ولو أنّ الحق خلُص» من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسنة المعاندين و«لم يكن اختلاف، ولكن

يُؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغثٌ، فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه»» ، أي هنالك يبتلي الله عباده، ولا يزال الوضع على حاله. وإنِ اتضح شيءٌ منه مما اختُلف فيه نتيجة التقدم في عصرنا الراهن. بيد أنّ الإمام الحسين عليه السلام مثّل الوضوح بكل معانيه من نواحٍ متعددة:

الأولى: مكانة الحسين عليه السلام في النصوص الشرعية.

من أبرز ملامح الوضوح في شخص الحسين عليه السلام أنه مصداق لآية التطهير ويتجلى ذلك في النصوص التي وردت في حقه، فهو المصداق البين، وهو أيضاً من الأبناء الذين تحدثت عنهم آية المباهلة. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران:61). كما ذكر ذلك المفسرون والمؤرخون، ناهيك عن عشرات، بل مئات من الأحاديث التي وردت عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسن (ع) كقوله (ص): ««الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»» ، و««حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحب حسيناً»» ، وعشرات الأحاديث التي تُبين عِظَم مكانته عليه السلام، فهل يمكن بعد الآيات والروايات الواضحة في دلالتها وتواترها الشك في حقانية الحسين عليه السلام بخلافة جده المصطفى صلى الله عليه وآله؟!. لكن المنابر الإعلامية مارست أُبّان ذلك التأريخ المظلم الدور القاتم في تشويه الحقيقة حتى وصل الحال أن يقول أحدهم أن الحسين عليه السلام: (قُتل بسيف جده) ، وكأنّه عليه السلام لا يعرف

١- ميزان الحكمة للريشهري ج2 ص316.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج43 ص291.

١- مسند أحمد لأحمد بن حنبل ج4 ص172: عن يعلى العامري انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام دعوا له قال فاستمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عظ نقال وهيب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذه قال فطفق الصبي ههنا مرة وههنا مرة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه قال فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه فقبله وقال حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط

١- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج1 ص265: قال المناوي: قيل لابن الجوزي وهو على كرسي الوعظ كيف يقال يزيد قتل الحسين وهو بدمشق والحسين بالعراق فقال :

سهم أصاب وراميه بسلمى * من بالعراق لقد أبعدت مرماكا

وقد غلب على ابن العربي الغض من أهل البيت حتى قال قتله بسيف جده

وقال ابن خلكان في تاريخه ج1 ص217: وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه المسمى بالعواصم والقواصم ما معناه. إن الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء.

الحدود ولا يُدرك ما يريده الله تعالى منه ولا ينقضي تعجبي كيف تصدر هذه الكلمات ممن يدعي العلم والإحاطة والثقافة رغم وضوح آي القرآن الكريم وعشرات بل مئات الأحاديث التي نصت على إمامته عليه السلام.

الثاني: النص على إمامة الحسين عليه السلام في بنود الصلح.

لم تقتصر النصوص الجلية على إمامة الحسين عليه السلام بالمنهج المنتمي لأهل البيت، فقد كان الإمام الحسن عليه السلام يمهد لإمامة الحسين على ضوء نظرية الطرف الآخر المخالف لإمامة أهل البيت عليهم السلام، وهذا بيّنٌ بجلاء في أحد بنود الصلح التي أبرمها الحسن عليه السلام مع معاوية، ونصّ فيها على أنّ الخلافة بعد معاوية للحسن عليه السلام، وإنْ حدث به حدث فهي للحسين من بعده، وهذا النص وثيقة قانونية تُبين على أنّ القانون يُساند إمامنا الحسين عليه السلام في إمامته ليس فقط من ناحية النص الذي يؤمن به أتباع أهل البيت عليهم السلام، بل أيضاً من ناحية البيعة والشورى وأخذ رأي أهل الحل والعقد.

موقف الإمام عليه السلام تجاه الأوضاع في عصره.

مكانة إمامنا الحسين عليه السلام كانت من الوضوح بالنحو التام والكامل للجميع، وكانت تجسد الحق، ومع ذلك كان الطرف المقابل له عليه السلام ليس معاوية الذي يُراعي بعض مظاهر الإسلام، بل كان يزيد المتجاهر بالفسق والفجور وشرب الخمر والتعدي على الحرمات، بل وإنكار الإسلام، كما جاء في إنشاده:

لعبت هاشمٌ بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[١٢١]

كل هذا الواقع المؤلم لم يُسوغ لإمامنا الحسين عليه السلام أن يقف مكتوف اليدين، بل لابد له . وهو الذائد عن الحرمات والامتداد الطبيعي لجده المصطفى . أن يقف وقفة باسلة، ويضحي بنفسه وأهل بيته قرابين في سبيل الله لإيضاح الحق وإزهاق الباطل، وبالفعل كان عليه السلام يستند إلى شرعية نفسه من ناحية، ويُوضح المعالم التي تُعدي عليها من ناحية أخرى، خصوصاً إذا تعرفنا على كثير من الأحاديث الواردة عن جده المصطفى في ذلك، قال صلى الله عليه وآله: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره أو نهاه فقتله» أي، أنّ الإمام الجائر قُتل من يأمره بالحق وينهاه عن الباطل،

١- تاريخ الطبري ج8 ص188.

١- التمهيد لابن عبد البر ج13 ص55.

وذلك المقتول بمنزلة حمزة سيد الشهداء، ولا يوجد لدينا مثالٌ بينٌ أوضح من الحسين عليه السلام، فهو الذي وقف أمام الجور والتعسف الفاضح من لدُن يزيد، وحاول أن يرُد الجماهير إلى فطرتها النقية التي أراد المصطفى صلى الله عليه وآله لها أن تعيش في ظل العدل الوارف وتتفيأ بمبادئ الإسلام السمحة دون تعدٍ على حقوق الناس الاقتصادية ، ودون انتهاك لقيم العدل، لكنّ الأمويين ـ كسائر الطغاة عبر التأريخ ـ شوهوا الحقائق وجعلوا ضباباً على ذلك الوضوح في ثورة الحسين عليه السلام حتى وصل الحال أنْ قيل: إنّه خارجي، خرج على إمام مفترض الطاعة، وأن يزيد هو الإمام المفترض الطاعة!!

رغم أنّ الخارج على هذا الإمام ـ بمنطقهم ـ هو الحسين عليه السلام، إلا أنّه عليه السلام أراد أن يُحيي تلك الضمائر الميتة التي تأثرت بالبريق الاقتصادي الهائل للدولة الأموية، وبالتشويه الإعلامي الكبير في خلط الحق بالباطل حتى بات كثير من الناس لا يعرف الحق أهو مع علي أم مع معاوية أو مع علي أو طلحة والزبير ؟ وذلك من الأمور التي لم تعُد خافيةً على من يسبر أغوار التأريخ ويتعرف على ذلك الدهاء والخبث الذي مُورِس في حق أهل البيت عليهم السلام، لذا لم يجد الحسين عليه السلام لنفسه إلاّ أن يقف الموقف الباسل ليهز ضمير الأمة، وكما أنّ جده صلى الله عليه وآله أخرج الناس من الظلمات إلى النور بعد حين فترة من الرسل فهو عليه السلام أحيا الناس بعد أن ماتت الضمائر نتيجة للطغيان الذي مُورس في تشويه الحق.

الحسين عليه السلام في عصرنا الحاضر.

أصبح الحسين عليه السلام في عصرنا الراهن قضية من يريد العدالة والحرية، وقضية لمن يريد التطبيق الحق لمبادئ الشريعة، ويتوق إلى المساواة وتحكيم القانون، ولكون قضيته عليه السلام لا تختص بزمانه، بل تعم جميع الأزمنة والأمكنة، من هنا نجد صدى القول المشهور: (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء)، يوضح قضية الوقوف أمام الزيف ومحاربة الباطل ومساعدة الحق والوقوف إلى جنبه مهما كانت الوسائل في جبروتها وطغيانها، وهو القائل (ع): «إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً» [1] ، فإذا جار جائر وأنكر مبادئ الإسلام، فليس أمام الناس إلاّ أن يضحوا بأنفسهم في سبيل الله، ويقدموها قرابين اقتداءً بالحسين عليه السلام.

١- بحار الأنوار ج44 ص192.

عالمية التأثير الحسيني.

إذن الحسين عليه السلام لا يخص المسلمين فحسب، بل يعم الإنسان بكل اتجاهاته، في إرادته للعدل وتوقه للحرية واستنشاقه المساواة التي أفصح عنها القرآن الكريم وأباها الرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام في عشرات من كلماتهم، بل مئات، أكدوا فيها على أهمية حرية الإنسان في مواقفه.

التطور التأريخي للمآتم الحسينية

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(الحج ٣٢). صدق الله العلي العظيم.

المآتم الحسينية في عصر المعصومين عليهم السلام.

إنّ إحياء مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وإقامة الشعائر الحسينية من شعائر الله تعالى وكي نتعرف على الشعائر يحسن بنا أن نرى تطبيق النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام لها لنتجاوب أثناء حضورنا المآتم الحسينية على وفق ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

إنّ السيرة التأريخية للمعصومين عليهم السلام جاءت على النحو التالي:

المأتم الحسيني في عصر النبي صلى الله عليه وآله.

إنّ النبي صلى الله عليه وآله بكى الحسين عليه السلام قبل استشهاده وقد تحدثت بعض الروايات عن بكائه صلى الله عليه وآله على الإمام الحسين عليه السلام، جاء في بعضها عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله رأيت الليلة حلماً منكراً قال: وما هو؟ قالت: إنه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قد قطعت ووضعت في حجري فقال رسول الله: خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك. فولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام قالت: وكان في حجري كما قال رسول الله فدخلت به يوماً على النبي فوضعته في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهرقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله مالك؟ قال: أتاني جبرئيل فأخبرني أن أمتي تقتل ابني هذا وأتاني بتربة حمراء من تربته) [1] وجاء في رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فقال لها: لا يدخل عليَّ أحدٌ فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي فدخلت أم سلمة على أثره فإذا الحسين على صدره وإذا النبي يبكي وإذا في يده شيء يُقلبه. فقال النبي: يا أم سلمة إنّ هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه؟ قال: قد فعلت فأوحى الله عز وجل إليَّ أنّ له درجة لا ينالها أحدٌ من المخلوقين،

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44ص239.

وأنّ له شيعة يَشْفَعون فَيُشَفّعون، وأنّ المهدي من ولده فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة›› ويظهر من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليهٖ وآله وبعضها في مصادر [1] الفريقين السنة والشيعة أنّ النبي عندما ذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام بكى، وكذلك عندما ذُكر له مصاب الإمام الحسين عليه السلام من جبريل عليه السلام بكى.

المأتم الحسيني في عصر الإمام علي عليه السلام.

وكذا الحال مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ففي أسد الغابة عن غرفة الأزدي: دخلني شك من شأن علي، فخرجت معه على شاطئ الفرات، فعدل عن الطريق ووقف ووقفنا حوله، فقال بيده: هذا موضع رواحلهم ومناخ ركابهم ومهراق دمائهم، بأبي من لا ناصر له في الأرض ولا في السماء إلا الله. فلما قتل الحسين خرجت حتى أتيت المكان الذي قتلوه فيه، فإذا هو كما قال، ما أخطأ شيئاً. قال: فاستغفرت الله مما كان مني من الشك، وعلمت أن علياً رضي الله عنه لم يقدم إلا بما عهد إليه فيه. وقد تأوه الإمام علي عليه السلام حزناً كما جاء في رواية أخرى، ومن هذه الروايات نستفيد مشروعية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، فواقعة الطف كانت من الأمور التي أراد النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن تأخذ بعداً مأسوياً عاطفياً في الأمة تستثير العاطفة من ناحية وتذكر بالمأساة من ناحية أخرى.

المأتم الحسيني في عصر الإمام الحسن عليه السلام.

وإذا استعرضنا ما فعله الأئمة من أهل البيت عليهم السلام واحداً تلو الآخر نجد أنّ واقعة الطف أبكتهم جميعاً عندما تحدثوا عنها. فقد تأثر الإمام الحسين عليه السلام لما جرى على الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام تأثر أيضاً وعدّد ما يجري على الحسين عليه السلام من مصائب، روى الشيخ الصدوق عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام: ‹‹أنّ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلمَّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يُؤتى إليَّ سمٌ يُدس إليَّ فأُقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدّعون أنهم من أمة جدِّنا محمد صلى الله عليه وآله ، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك،

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص225.

فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار»[١].

المأتم الحسيني في عصر الإمام السجاد عليه السلام.

أما الإمام زين العابدين عليه السلام فقد كان يبكي الحسين عليه السلام دائماً وبقي فترة طويلة لا يرى إلاّ باكياً، روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه، فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي فيقول: قُتل ابن رسول الله جائعاً؛ قُتل ابن رسول الله عطشاناً فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل، وحدث مولى له عليه السلام أنه برز يوماً إلى الصحراء قال: فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه وأحصيت عليه ألف مرة لا إله إلا الله حقاً حقاً لا إله إلا الله تعبداً ورقاً لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، ثم رفع رأسه من السجود وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقل؟ فقال لي: ويحك إن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام كان نبياً ابن نبي كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا، وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي؟»[٧] إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام يعطي مأساة الإمام الحسين عليه السلام بعداً آخر وكان يغتنم كل مناسبة ويبكيه بنحو دائم.

المأتم الحسيني في عصر الصادقين عليهما السلام.

أما في عهدي الباقرين الصادقين عليهما السلام فقد استمر الحال على ما كان عليه عند زين العابدين عليه السلام.

١- الأمالي للطوسي ج3 ص173.

١- جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ج3 ص478.

الإمام الصادق عليه السلام وتطوير المأتم الحسيني.

بالإضافة إلى ما تقدم فإنّ الإمام الصادق عليه السلام اتخذ طابعاً آخر في اتجاهين:

الأول: استدعاء بعض الأدباء والشعراء ليرثوا الحسين عليه السلام ، المراثي في الشعر العربي –تعداد المآسي التي جرت على المرثي–.

الثاني: توسيع دائرة المأتم الحسيني لتشمل النساء، وذلك من خلال وضع خدر أو ستار يفصل بينهن وبين الرجال لتحضر النساء من أهل بيته المأتم الحسيني ويجلب بعض الناس من أصحابه للاستماع إلى مراثي الحسين عليه السلام فعن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فاستأذن آذنه للسيد الحميري فأمر بإيصاله وأقعد حرمه خلف ستر ودخل فسلم وجلس فاستنشده فانشد قوله:

أُمرر على جدث الحسين * فقل لأعظمه الزكية
يا أعظماً لا زلت من * وطفاء ساكبة رويه
وإذا مررت بقبره * فأطل به وقف المطية
وابك المطهر للمطهر * والمطهرة النقية
كبكاء معولة أتت * يوماً لواحداها المنيه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه وارتفع الصراخ من داره حتى أمره بالإمساك فامسك.[١]

وإذا أردنا التعرف على ما هو موجود لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام في يومنا هذا من وجود مكان كبير يعبر عنه بالحسينية فإنّ ذلك يرجع إلى الإمام الصادق عليه السلام، فهو عليه السلام الذي جلب بعض الشعراء وأمرهم برثاء الحسين عليه السلام وبكى عندما استمع الشاعر يرثي الإمام الحسين عليه السلام بكاءً مريراً حتى كانت دموعه تتحدر على خديه من شدة بكائه، وقد اتخذ عليه السلام طابعاً آخراً بجلب الناس لاستماع المراثي فأسس مأتماً وأمر عليه السلام النساء بحضوره بالإضافة إلى أمره أتباع أهل البيت عليهم السلام أن يذكروا مصاب الحسين ويرثونه عليه السلام في بيوتهم –أي يجلبون شاعراً ليرثي الإمام عليه السلام ويذكرهم بمأساته عليه السلام– إنّ تطوير الشعائر الحسينية وإظهار مظلومية الإمام الحسين عليه السلام حدث على يدي الإمامين زين العابدين والصادق عليهما السلام، فالإمام زين العابدين عليه السلام اتخذ طابع الديمومة في البكاء، أما الإمام الصادق عليه السلام فقد جلب الشعراء وأقام المأتم بشكل رسمي وحث الناس على حضوره، إذن المأتم الحسيني بالشاكلة التي

١- أعيا ن الشيعة للأمين ج1 ص586.

هو عليها في يومنا من وجود خطيب ومكان مخصص للنساء وآخر للرجال والبكاء على الإمام عليه السلام بهذا النحو أسسه الإمام الصادق عليه السلام.

المأتم الحسيني في عصر الإمام الكاظم عليه السلام.

أما في عهد الإمام الكاظم عليه السلام فإنّ المأتم الحسيني ليس له ظهور، ولعل ذلك يرجع إلى أنّ الإمام عليه السلام عاش فترة مملوءة بالكبت والتضييق فلم تسمح الظروف أن يواصل ما فعله أبوه عليه السلام وما كان يتاح للإمام عليه السلام ذلك لأنّ ظرفه السياسي مملوء بالكبت والتضييق، وقد نُقل من سجن إلى سجن.

المأتم الحسيني في عصر الإمام الرضا عليه السلام.

غير أنّ الحال تبدلت في عهد الإمام الرضا عليه السلام، فبدت إشراقة للمأتم الحسيني وتطور أكثر مما كان عليه في عهد الإمام الصادق عليه السلام، إذْ ربط الإمام الرضا عليه السلام الأحداث والوقائع اليومية للمآسي التي تجري في العالم الإسلامي بمظلومية أهل البيت عليهم السلام وما جرى عليهم من تعدٍ، فإذا حدثت مشكلة اقتصادية في المجتمع فأساسها يرتبط بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام، وقد علق الرضا عليه السلام على قصيدة دعبل بن علي الخزاعي –التائية المشهورة– (لما وصل إلى قوله)

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فعندما بلغ إلى قوله هذا بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له : صدقت يا خزاعي) أي أنّ السبب في مظلومية أهل البيت عليهم السلام الاقتصادية هو ما جرى من ظلم وانتهاك لحرمة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ربط للوقائع والأحداث بالحسين عليه السلام، أسسه الإمام الرضا عليه السلام وربط به الأحداث بالمأتم الحسيني وأعطاه طابعاً حركياً يتفاعل معه.

المأتم في عصر الجواد والعسكريين عليهم السلام.

أما أدوار الأئمة الذين جاءوا بعد الإمام الرضا عليه السلام – الهادي والجواد والعسكري عليهم السلام – ففترتهم تشبه فترة الإمام الكاظم عليه السلام أي أنّ البرهة الزمنية التي عاشها هؤلاء الأئمة مليئة بالإرهاب والكبت والتضييق فلم تكن الظروف تسمح لهم بإقامة الشعائر الحسينية فضلاً عن تطويرها، نعم؛ يمكن أن نجد بعض اللفتات في حياة الإمام العسكري عليه السلام مع نوابه في إقامة المآتم

١– بحار الأنوار للمجلسي ج49 ص239.

بنحو مخفي، فكان يقام مأتم الحسين عليه السلام على النسق الذي بدأه الإمام الصادق عليه السلام بنحو سري لا يطلع عليه إلاّ قلة من الناس للتضييق والشدة التي بلغت أوجها في عصر المتوكل.

المأتم الحسيني في عصر الإمام المهدي عليه السلام.

أما الإمام المهدي عليه السلام فأراد إفهام الناس بأهمية ثورة الإمام الحسين عليه السلام وإيقاظ الضمير الإنساني لرفض الظلم والوقوف مع العدل، وقد اتخذ الإمام عليه السلام أسلوب جده زين العابدين عليه السلام فأكثر من البكاء، نقرأ في إحدى زياراته «فلأندبنك صباحاً ومساءً» .

كما أنه عليه السلام أراد لقضية الحسين عليه السلام أن تكون دائمة مستمرة حتى وإنْ استلزم ذلك التضحية بالنفس والنفيس، ففي الزيارة «ولأبكين عليك بدل الدموع دماً» وهو تعبير كنائي عن أنّ قضية الحسين عليه السلام ترتبط بالإنسانية والقيم والمبادئ وتستوجب من الأحرار وأصحاب الضمائر اليقظة والحية أن يدافعوا عنها وأن يستشهدوا في سبيل الله تعالى من أجلها.

فوائد استعراض إحياء المأتم الحسيني.

هذه الممارسات والتجسيدات هي دروس جاءت في روايات وأحاديث متعددة، ونستفيد منها ما يلي:

أولاً: مشروعية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: إحياء المراسم كما فعل النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: إظهار الحزن والأسى على الإمام عليه السلام.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص238.

١- نفس المصدر السابق.

آلية تطوير الشعائر الحسينية.

هناك مجالات متعددة يمكن من خلالها تطوير الشعائر الحسينية وذلك بالوسائل التالية:

أولاً: التطوير من خلال التأليف والكتابة.

لقد تطور المنبر الحسيني بشكل كبير غير أنّ المجال لا يزال مفتوحاً لتطويره، فما فعله الإمام الصادق عليه السلام بجلب الشعراء يمثل استثمار الإعلام في عصره، وللإعلام حيثيات متعددة، ففي عصرنا الراهن له وسائل وآليات منها الكتاب المقروء، والمقالة، وكتابة القصة القصيرة والطويلة بأنحاء مختلفة تتناسب مع عالم الطفل أو مع أصحاب الفكر الراقي أو مع عامة الناس.

ثانياً: العرض السينمائي لواقعة الطف.

للمنبر الحسيني مفهوم يشمل مصاديق متعددة ولا ينحصر في الأعواد التي يرتقيها الخطيب، فالإعلام في قضية الحسين عليه السلام يحتاج أن يأخذ الزخم الإعلامي الموجود في عصرنا الحاضر فيكون بالفلم السينمائي الذي يتحدث عن الثورة الحسينية، وبالقصة بأساليبها المختلفة وبالمسرح في إظهار مظلومية الإمام الحسين عليه السلام فلذلك أهميته الفائقة.

ثالثاً: إبراز القضية الحسينية عبر الفن.

يؤثر الإسهام بالفن تأثيراً كبيراً خصوصاً الجانب الإبداعي من الفن، فإذا تخصص رسام في رسوم الكاركيتور ورسم ما يدلل على مظلومية الإمام عليه السلام فإنّ تأثيره أكثر من المقالة بل أكثر من كتاب يكتبه عالم، لتأثير الصورة الراقي.

إننا نحتاج إبراز الجانب المأسوي لثورة الإمام الحسين عليه السلام من خلال الصورة، كما نحتاج إلى الخطيب والشاعر والمؤلف وكذلك إلى الرسام المبدع لإظهار مظلومية الحسين عليه السلام وتبيان الجانب الإنساني في ثورته وبيان أنّها الحافظة لروح الشرائع السماوية، وبها يدافع عن إنسانية الإنسان.

البعد التأريخي في الملحمة الحسينية

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمر ن:169)

صدق الله العلي العظيم.

ملحمة الإمام الحسين عليه السلام فريدة من نوعها، بل لا نظير لها في مناحٍ متعددة في التأريخ البشري كله من حيث المجموع لا من حيث المفردات، فالتأريخ البشري حفل بمآسٍ من القتل والظلم والتعدي على الآخرين، وانتهاك الحرمات، غير أنّ مأساة الحسين عليه السلام اقتُرفت فيها كل المآسي، وتوافرت فيها كل القيم والمبادئ، مما جعلها تجسد درساً لا يتكرر في تأريخ الإنسانية جمعاء.

الانتهاكات في مأساة الحسين عليه السلام.

عندما ننظر إلى القتل نجد أنّ كثيراً من الأنبياء والرسل قتلوا وتعدي عليهم، غير أنّ القتل كان لشخص ذلك النبي، والتعدي كان من ناحية واحدة، أما في مأساة الإمام الحسين عليه السلام وملحمته فالتعدي وانتهاك الحقوق والمقدسات لم يقتصر على مفردة من المفردات، بل شمل مفردات متعددة وانتهاكات كثيرة:

الأول: التعدي على شخصية الإمام عليه السلام .

التعدي على شخصية الإمام الحسين عليه السلام بالقتل بعد توافر القداسة الشرعية لشخصيته عليه السلام، لما ورد فيه من آيات وروايات عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله كقوله: ‹‹حسين مني وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط ›› [٢].

الثاني: التعدي على الإمام الواجب طاعته.

الخروج عن بيعته وطاعته باعتباره عليه السلام الخليفة المفترض الطاعة للمسلمين أجمعين، فهو عليه السلام خليفة للصلح الذي أجري بين معاوية وبين الإمام الحسن عليه السلام، وكان أحد بنود الصلح أنّ الخليفة من بعد معاوية الحسن عليه السلام، فإنْ حدث به حدث فالحسين عليه السلام، فهو الخليفة الشرعي بالبيعة لمن يعتقد ببيعة أصحاب الحل والعقد أو بالشورى وذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام توافرت له البيعة والشورى قبل خلافة يزيد، وقد ذكر ذلك في بنود الصلح، إذن مدرسة الخلافة تؤمن إما بالبيعة أو بالشورى، فمن الناحية القانونية فإنّ الحسين عليه السلام هو الخليفة الشرعي وفق المبادئ القانونية، أما على مدرسة أهل البيت عليهم السلام فالأمر أوضح باعتبار النص الوارد في حقه

١- مسند أحمد لأحمد بن حنبل ج4 ص172.

عليه السلام من جده المصطفى ص، ومن أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن أخيه الحسن عليه السلام، فالتعدي على الخليفة المفترض الطاعة خروج على الإمام الشرعي.

الثالث: مواجهة الحركة السلمية بالقمع.

الإمام عليه السلام رجل سلام لم يأتِ للحرب، وحركته حركة سلمية دلل عليه السلام على ذلك بتعبيرات عدة:

الأول: إنه لم يبدأ القوم بقتال.

الثاني: قال عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله» أي أنّ خروجه عليه السلام لم يكن ظلماً أو تعدٍ[٣] وإنما لحركة سلمية إصلاحية، لم يتعدَ الإمام الحسين عليه السلام على أحدٍ، فيكون التعدي عليه يمثل منتهى الحقارة والدونية والخروج عن قيم الإنسانية إذْ أنّ من يخرج لطلب الإصلاح بنحو سلمي لا يرفع سيفاً بل يريد إصلاح الأمة وعندئذ فإنّ استئصال الحركة السلمية بالقمع والتعدي والظلم هو انتهاك لمبادئ الشرائع السماوية والإنسانية.

[١]

الرابع: إنكار حقانية الإمام الحسين عليه السلام.

لقد أنكر القوم حقانية الإمام الحسين عليه السلام وجابهوا ما أفاده عليه السلام من وجود أحاديث واردة عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام، بإعلام مضاد للإمام عليه السلام ونكران استناد الإمام الحسين عليه السلام للنصوص الشرعية، والإمام عليه السلام قال للقوم الذين جاءوا لقتله –وقد أُعمل لهم غسل أدمغة– «أولم يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟ فان صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، اسألوا جابر ابن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي» أي أنّ المشروعية لشخصيتي لا تتوافر لغيري، ونكران هذا الواقع الذي أُصِّل من القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله انتهاك لحرمة الكتاب والسنة.

[٤]

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص329.

١ بحار الأنوار للمجلسي ج 45 ص6

الخامس: انتهاك القيم الإنسانية.

لقد انتهكت قيم ومبادئ إنسانية متعددة، فهناك قيم سائدة في الفكر البشري لدى العرب وغيرهم، من جملتها حرمة التعدي والسلب للأطفال والنساء، وهذه مبادئ تلتزم بها المجتمعات البشرية من ناحية عامة، خصوصاً في عصرنا لتحضر الإنسان بنحو أكبر، وقد أصبحت هذه المبادئ بنوداً معترف بها لدى الهيئات الدولية، أما في السابق فكانت مجرد كلمات تقال ويلتزم بها حين يغلب طرفٌ طرفاً آخر، ويعد التعدي بسلبه ونهبه أو التعدي على أطفاله ونسائه أو سبي نسائه خروجاً صارخاً عن تلك المبادئ والقيم، والإمام الحسين عليه السلام تُعدي على نسائه وأطفاله وسلب ونهب رحله، والأفدح من ذلك حرق المخيمات مع وجود نساء وأطفال فيها، وكل ذلك تجرد عن القيم والمعايير.

استثنائية مصيبة الإمام عليه السلام.

ونلفت الانتباه هنا إلى أنّ ما حدث من مآسٍ في التأريخ، خصوصاً في تأريخنا الحديث كالقنابل النووية التي ألقيت على هيروشيما ونجازاكي وأحرقت الأخضر واليابس مأساة، رغم فداحتها غير أنها كانت لوجود حرب مستعرة بين دولتين كل منهما تريد أن تقضي على مكامن القوة للدولة الأخرى، وليست حركة سلمية كحركة الإمام الحسين عليه السلام، ففي الحرب العالمية الثانية لم تكن الحركة سلمية، بل حرب يريد كل طرف أن ينتصر على الطرف الآخر، ويحاول أن يفعل ما باستطاعته مما يعبر عنه بأنّ كل شيء مباح في الحرب، بخلاف حركة الإمام الحسين عليه السلام فلا حرب فيها، ولم يأتِ عليه السلام للحرب، وكل ما يقال بأنّ المآسي التي حدثت في اليابان هي أعظم ليست بأعظم لأنها وقعت في حال حرب من طرفٍ على طرف آخر، والإمام عليه السلام لم يأتِ ليحارب.

ولابد من النظر إلى فداحة ما حدث على الإمام عليه السلام من كل الحيثيات ومن جميع الزوايا، ولا ينظر من زاوية واحدة، فقد نجد زاوية محددة قُتل فيها نبي كيحيى بن زكريا عليهما السلام أو تعدي فيها على إبراهيم عليه السلام، فهناك شخصيات تعدي عليها غير أنّ المسألة مختلفة في ملحمة الإمام الحسين عليه السلام من ناحيتين:

الأولى: أنّ القتل كان بأبشع الصور، ومن ثمّ سلب بعد قتله، وقطعت بعض أطرافه.

الثانية: النظر إلى الملحمة من كل الحيثيات من البدء حتى الانتهاء،

فالمآسي التي حدثت كمنع الماء عن الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام وعن النساء والأطفال، والماء متاح للجميع، ولا نجد في الحروب الآن منع الماء عن الطرف الآخر حتى إذا كان ألد الأعداء، لذا نقول إنّ ما حدث على الحسين عليه السلام لم يحدث على غيره من حيث المجموع، والحيثيات التي توافرت في ملحمته عليه السلام لن تتوافر في غيرها، وهي فريدة من نوعها من حيث

المجموع لا من حيث مفردة خاصة، إذْ أنّ بعض المفردات نجد لها مثيلاً كمنع الماء عن قوم، غير أنه لا تشريد لهم ولا حرق لمخيماتهم، وقد نجد قتلاً دون سلب، وقد يكون القتل والسلب دون قطعٍ لبعض الأطراف وإيطاء الخيل لصدر المقتول.

كشف قتلة الإمام الحسين عليه السلام.

ورد في النصوص أنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يعذر في النصيحة ويرفع اللبس من الناحية القانونية والشرعية لوقوفه ضد الطغاة والظالمين، وضد الفكر المنسلخ عن القيم والمعايير، وعبّر عن ذلك بتعبيرات:

أولاً: إقامة الحجة.

قال الإمام عليه السلام: ‹‹يا شبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار وأخضر الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجند؟! فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، فقال له الحسين:" لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد›› [1] أقام الإمام عليه السلام الحجة عليهم وأبان عزته وكرامته وعدم قبوله للذل والمهانة في الخضوع لحكومة يزيد اللاشرعية.

ثانياً: أولوية المصالح الشخصية.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى أنّ بعض من يحاربه كان قد كتب إليه ودعاه إلى الوقوف ضد الأمويين، وينبغي أن ننبه هاهنا بأنّ الكوفة فيها مجاميع مختلفة الأهواء والتوجهات، بعضهم يصدق عليه التعبير الحديث ـ برجماتي ـ أي لهم مصالح، ولا يهمهم من يحكم بقدر ما يهمهم تحقيق مآربهم ومصالحهم، ومن هؤلاء (شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وقيس بن الأشعث، ويزيد بن الحارث) فدعوتهم للإمام الحسين عليه السلام وإرسال أكثر من اثني عشر ألف كتاب إليه عليه السلام، جعل البيعة في أعناقهم لازمة للإمام الحسين عليه السلام ومع ذلك انسلخوا عنه، ولم يهتموا بالدين بقدر اهتمامهم بمصالحهم.

ثالثاً: نقض العهود ومقارفة الحرام.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عنهم بأنّ بطونهم ملئت من الحرام، وهم ليسوا بشيعة للإمام عليه السلام كما أنهم ليسوا بشيعة للأمويين أيضاً، فهم لا يؤمنون بمبادئ بقدر ما تهمهم مصالحهم، فإذا

١- الإرشاد للشيخ المفيد ج2 ص98.

أعطوا ولو بالوعود انسلخوا عن أي قيدٍ، ولعل دعوتهم للإمام الحسين عليه السلام لذلك، لأنهم يريدون أن يساوموا على الإمام الحسين عليه السلام مع الأمويين، ويحصلون على بعض المكاسب، وهذا هو السبب لإعطاء عمر بن سعد إمارة الري وجرجان، وقد حدثت وعود بإعطاء امتيازات لمن يقف ضد الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك تحدث عمر بن سعد عن هذا المعنى بقوله:

يقولون إنّ الله خالق جنة ونار وتعذيب وغل يدين

فإن صدقوا فيما يقولون إنني أتوب الى الرحمن من سنتين

هذا مبدأ برجماتي وعمر بن سعد لا يشايع الحسين عليه السلام، ولا يشايع الأمويين، لكنه يقترف أعظم الجرائم من أجل تحقيق مصالحه.

شبهة قتل الشيعة للإمام عليه السلام.

هذه المسألة غاية في الأهمية، لأنّ بعض المهرجين قال: إنّ الحسين قتله الشيعة عندما دعوه، مع أنّ بعض من دعاه ليسوا بشيعة لا للأمويين ولا للحسين عليه السلام، وهمهم تحقيق مصالحهم كما تقدم، نعم؛ الكوفة فيها شيعة للأمويين، وشيعة لعلي عليه السلام وأهل البيت، وفيها أحزاب أخرى، والمجتمع الكوفي مجموعة من الأحزاب والتوجهات والانتماءات المختلفة آنذاك، وقد دعا الإمام الحسين عليه السلام قوم ليسوا بشيعة له عليه السلام كما أنّ بعض الشيعة دعوه أيضاً غير أنّ أكثرهم قد أُودع السجن، والحق أنّ مجموعة من أصحاب المصالح أرادوا أن يحققوا مآربهم بدعوتهم للحسين عليه السلام فلما أعطوا الامتيازات بالوعود، وصدرت لبعضهم وثائق بالحصول على ما يريد أظهر أنّ ذلك همه، غير أنّ بعضهم بل أكثرهم لم تتح الظروف أن يحصل على ما وُعد به كعمر بن سعد باعتبار أنّ القتل كان مصيرهم بعد مجيء المختار الثقفي الذي استأصل شأفتهم وأنهى أكثرهم بحركته.

القيم في الملحمة الحسينية.

جسّد الإمام الحسين عليه السلام قيم الإنسانية في شخصيته من خلال مبادئ طبقها:

الأول: بيان أحقيته الشرعية.

لقد أنذر الإمام عليه السلام أكثر من مرة، منها: أنه قام عليه السلام خطيباً وأكّد على شرعيته وبين أنه لا يوجد ابن بنت نبي في العالم غيره.

الثاني: فضح الأمويين.

١- اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس ص193.

وأبان عليه السلام أكثر من مرة أيضاً أنّ الأمويين ليسوا أصحاب عدل ولا يهمهم إلاّ تحقيق مصالحهم، وأوضح عليه السلام المسألة بإيضاح غاية في الأهمية حتى لا يقول الناس بعد حين أنّهم خدعوا، ولم تكن المسألة واضحة، قال عليه السلام: «بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أملٍ أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيشٍ طمعتم فيه» أي أنّ وقوف القوم مع[1] الأمويين لمجرد أماني خادعة ووعود كاذبة، وليس لعدل وعدالة، إذِ الأمويون همهم مصالحهم وليس الصالح العام، وقد عبّر بعض الأمويين بتعبيرات كثيرة عن هذا المعنى قال سعيد بن العاص: "إنما هذا السواد بستان قريش" أي أنّ العراق وما يجبى منه بمثابة مزرعة صغيرة يتصرف بها الأمويون.

الثالث: كشف الزيف الأموي.

أوضح الإمام الحسين عليه السلام لمقاتليه أنّ الأمويين الذين يدافعون عنهم لا يمثلون عدلاً ولا قيماً ولا انتماءً لأي مبدأ من المبادئ الإنسانية والإسلامية.

الرابع: الأمويون يحاربون قيم الإمام عليه السلام.

لعل أبلغ ما قاله الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه وأهل بيته أنّ الأمويين يطلبونه لشخصيته الفذة والفريدة، فإذا ظفروا به وقتلوه لا يهمهم غيره من المعارضين، قال عليه السلام: «إني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فان القوم انما يطلبونني ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري» أوضح الإمام الحسين عليه السلام ذلك أكثر من مرّة، وأراد عليه السلام للمسألة أن تصل إلى درجة عالية في فهم المبدأ والذود عنه اختياراً، ولا تتعلق بعدم الخديعة والضرر فحسب، بل يريد لمن يقف معه أن يذود عن القيم ويدافع عن المقدسات باختياره انطلاقاً من ضميره، فلما علم أنّ أهل بيته وأصحابه يقفون معه للحق فحسب قال فيهم عليه السلام: «اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي ولا أصحابا هم خير من أصحابي» إنّ هذا من أعظم المبادئ التي شكلت فارقاً كبيراً في ثورته عليه السلام وملحمته دون أن تتوافر في أي ملحمة أو ثورة أخرى، فكون الإنسان يذود عن المقدسات ويدافع عن قيم ومبادئ الإسلام بملء إرادته دون أي إكراه يجسد منتهى

١- بحار الأنوار للمجلسي ج45 ص8.

١- تاريخ ابن خلدون ج2 ق2 ص10.

١- أعيان الشيعة للأمين ج7 ص241.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص316.

التفاعل الإيماني، ولكل ما تقدم كانت الملحمة فريدة من نوعها لا يشاركها غيرها إذا نُظر إلى جميع حيثياتها.

السُنن التاريخية بين الأنبياء والإمام الحسين (ع)

قال الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء:35).

وقال الإمام الحسين عليه السلام: { إن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قل الديَّانون } [1].

تحمل ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام عبق الشهادة والتذكير بسُنّة الابتلاء، التي من خلالها يتعلم المرء والأمة كيف يمكن اجتياز المراحل الصعبة والعقبات الكأداء وتحقيق النجاح الباهر في الابتلاء؟!

عموميّة الابتلاء في الدنيا:

تحدث القرآن الكريم عن أنّ البلاء ليس حالة طارئة في حياة الأمم، بل هو سنة تأريخية يتم بها التكامل الاجتماعي والفردي، لذا كان الابتلاء يشمل كل حالة من أحوال الإنسان في الصحة والسُّقم والفقر والغنى. يُبتلى كفرد ، ويبتلى أيضاً في دائرة المجموع الكلي للأمة، ويمكنه أن ينجح كفرد في اجتياز الابتلاء أو يفشل، والأمر كذلك في المجتمع يمكنه أن يفشل أو يحرز النجاح إذا كان لديه إيمان قوي بالله تعالى يستطيع من خلاله تجاوز العقبات التي تعوق حركته التكاملية وتوصله إلى أرقى المستويات التي يطمح إليها، إنّ الانشداد إلى عالم الآخرة، والنظر للدنيا بنظرة ثاقبة يعرف بها أنها خُلِقت للابتلاء، وأنّ الابتلاء يشمل جميع علاقات الإنسان بالله وبأخيه الإنسان والطبيعة، وأنه بذلك يصل إلى الله، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (الإنشقاق:6) وكما أنّ الإرادة والعمل الجاد بعد الفشل يؤديان إلى تجديد الطاقات فإنّ الاستعداد للتعرض لابتلاء جديد من نوع آخر يمكن به إحراز النجاح مرة أخرى.

سُنّة الابتلاء في حياة الأنبياء.

سُنّة الابتلاء سِمَة بارزة في حياة الأنبياء والرسل عليهم السلام، لم نجد نبياً أو رسولاً لم يتعرض للبلاء بأي صورة من صوره المتعددة، وقد طرح القرآن الكريم نماذج من الابتلاء الذي واجهه الأنبياء على الصعيد الاجتماعي في إطار الدعوة إلى الله تعالى كما حدث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وإبراهيم وموسى والأنبياء جميعاً عليهم السلام أو على الصعيد الفردي كما كان ذلك لنبي الله يعقوب ويونس

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص383.

عليهما السلام. وحياة الأئمة عليهم السلام لم تكن استثناء من هذه السُنّة التي رافقت أدوار حياتهم المختلفة. وسوف نستعرض نماذج ثلاثة من حياة هؤلاء العظماء الذين تعرضوا للابتلاء:

الأول : السُنن التاريخية في عصر النبي صلى الله عليه وآله .

تعرض النبي صلى الله عليه وآله لأنواع متعددة من الابتلاء، وقد تجسد ذلك في بعض المواقف التي صدرت من أصحابه إلا أنّ ذلك لم يُؤدي إلى تقهقر الأمة وتراجع حركتها الصاعدة، وتجلى ذلك فيما حدث معه صلى الله عليه وآله عندما أراد أن يُحارب المشركين في معركة بدر، حيث خذّل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وآله وقال: (إنها قريش وعزها ، والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت)، غير أنّ بعضهم الآخر كان أكثر إيماناً ووعياً وتحملاً للمسؤولية، فخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بطريقة أخرى، قال المقداد والأنصار: (فاظعن حيث شئت ، وصل حبل من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذته منا أحب إلينا مما تركته علينا . فوالله لو سرت حتى تبلغ البرك من غمد ذي يمن لسرنا معك) ، إنهم آمنوا بسموّ الأهداف التي يطمحون إليها، وأنّ الدنيا عالم ابتلاء، لا يمكنهم الإنشداد إليها وترك الأهداف الرائدة التي تَعُود عليهم بالخير في الدنيا قبل الآخرة. وقد نجحت تلك الفئة التي صمدت، وانصاعت الفئة الُمَخذِّلة، وتم النصر في معركة بدر التي أوجدت حركة تصاعدية للواقع الاجتماعي للأمة. أما التقهقر والتفكك الذي حدث في زمن أمير المؤمنين وابنه الإمام الحسين عليهما السلام فقد أوجب تخلُّفاً للأمة الإسلامية، وأدَّى إلى غلبة القوى الغاشمة وصار ما يربط الناس ويشدهم هو اللَّذة والمنفعة المؤقتة.

الثاني: السُنن التاريخية في عصر النبي موسى عليه السلام.

النتيجة السلبية التي يُفرزها التقهقر ليست خاصة بأمتنا، بل هي سُنّة تأريخيّة مرّت على الأمم السالفة وعايشها الأنبياء السابقون، وما حدث في زمن نبي الله موسى عليه السلام مع بني إسرائيل رَسَمَه القرآن الكريم بإيضاح، وبيَّن كيف يتأتى لأمةٍ أن تتقدّم تارة وأن تتقهقر أُخرى، فعندما انصاعت أمة موسى عليه السلام لأوامر نبيها وتمسكت بقيادتها وصبرت وآثرت الله والدار الآخرة تقدمت للأمام وأحرزت نصراً على المجتمع القبطي، وعندما تخلّفت عن أوامر قائدها ونظرت إلى نفسها، متناسيةً قُدرة الله تعالى، ورَجّحَت الموازيين المؤقتة على الموازين الدائمة والخالدة لله تعالى تقهقرت إلى الوراء.

مما أدّى إلى موت موسى عليه السلام في التَّيْه، بالإضافة إلى أنّ الأمة لم تستطع أن تُحرز نصراً وتقدماً. وقد حكى القرآن الكريم هذا المشهد بشكل واضح قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ

١ – تاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص107.

الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة:21)، أي بيّن لهم عليه السلام أنّ الله كتب لهم فتح فلسطين التي يتواجد فيها أناس يمتلكون القوة والعُدة والعدد، وذلك يتطلب منهم الجُرأة والإقدام، لكنّ مجتمع بني إسرائيل لم ينْصَعْ لأمر قائده الإلهيّ، وخاطب موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة:22-24).

ذلك تخلّف واضح عمّا يُريده الله تعالى أدّى إلى تراجع المجتمع بأكمله. والسبب في ذلك عدم خضوعه لقيادته الراشدة التي تجسد الوعي والفهم العميق للحركة الاجتماعية، وبالتالي استحق العقاب لأنه سُنَّة تكوينية تترتب على تخلف وتراجع المجتمع إلى الوراء، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة:25-26)، عاقبهم الله تعالى بالبقاء في صحراء سيناء أربعين سنة لا يستطيعون دخول فلسطين، وقد شمل البلاء موسى عليه السلام رغم أنه من أولي العزم من الأنبياء، ومن أقرب الخلق إلى الله تعالى وأطوعهم لأمره لكنه توفى في التَّيْه.

الثالث:السُنن التاريخية في عصر الإمام الحسين عليه السلام.

ما حدث مع موسى عليه السلام هو نفسه ما حدث مع الإمام الحسين عليه السلام، فموسى عليه السلام أدّى دوره وابتلي ومات في التّيه، والإمام الحسين عليه السلام أدّى دوره فقُتِل واستُشهد. ومع أنّ الإمام عليه السلام توافرت كل مقومات النجاح لحركته ونهضته المباركة التي من أهمها:

الأول : الإيمان بالله والسير على طريقه مع اليقين بالآخرة، والنظر للدنيا بأنها دار ابتلاء.

الثاني : الصمود على المبدأ، والتحدي لمواجهة العقبات المتعددة بصبرٍ وأناةٍ.

الأمة تخذل الإمام الحسين عليه السلام .

غير أنّ الأمة في زمن الإمام عليه السلام لم تتفاعل معه بنحو إيجابي، وتناست الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله في التوكيد على إمامته، بل تفاعل بعض الأمة تفاعلاً سلبياً معه عليه السلام، وسكت بعضها الآخر فأدى ذلك إلى تلك النتيجة غير المحمودة للواقع الاجتماعي، فالمجتمع لم يتقهقر فحسب؛ وإنما عاد إلى ممارسة الظلم والرذيلة، وذلك هو الواقع نفسه الذي واجهه الإمام الحسن عليه السلام، وواجهه كذلك أمير المؤمنين عليه السلام من قبله.

سُنّة الابتلاء في كربلاء:

أوضح الإمام الحسين عليه السلام بكلماته النورانية التي افتتحنا بها الحديث الأسباب التي جعلت الأمة تتقهقر ولم تنصع لقيادتها الراشدة بأمور ثلاثة:

الأول : الأطماع الدنيوية واللهث خلفها إلى درجة وصلت إلى عبادتها واتخاذها آلهة

فقد شدّت القوم الأرض وغرّتهم الأهواء، قال الإمام الحسين عليه السلام: ((إن الناس عبيد الدنيا)) ، يشير عليه السلام إلى مبدأ من مبادئ التقهقر وهو الانشداد الوثيق للدنيا والارتباط بها، عندئذ لا يمكن أن يتحقّق تقدّم المجتمع.

الثاني : المكاسب المادية :

مثّل الدين لهؤلاء القالب الشكلي الذي يتمسكون به بمقدار ما يُحقق لهم مكاسب مادية فقط، وعلى هذا الأساس ليس لديهم الاستعداد للتضحية بأنفسهم والجهاد من أجل مبادئه الحقة، قال عليه السلام: ((والدّين لعقٌ على ألسنتهم يُحيطونه ما درّت معايشهم)) .

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص383.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص383.

الثالث: الابتلاء

وهو الذي كشف حقيقتهم وبيّن واقعهم الذي يسترونه بالأقنعة المزيفة والبراقة، قال الإمام عليه السلام: ((فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون)) [١].

لم يتحدث عليه السلام عن واقع الذين طلبوا منه أن ينهض، لكنهم عندما حانت ساعة الصفر تراجعوا وخذلوا الإمام عليه السلام ، ولم يكتفوا بذلك، بل قتلوه شر قتلة وسبوا أهل بيته ونهبوا أموالهم، وقاموا بفضائع وجرائم لا تصدر من إنسان فضلاً عن مسلم.

١- نفس المصدر السابق.

الفصل الخامس: الثمرات المترتبة لزيارة الإمام الحسين [ع].

زيارة الإمام الحسين عليه السلام منارة فكر وأصالة ثقافة

ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام : ((أَشْهَدُ أَنّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصّلاةَ وآتيْتَ الزّكَاةَ وأَمَرْتَ بالمَعْرُوفِ ونَهَيْتَ عَنْ المنكَرِ))[1] وورد أيضا ((أَشهَدُ أَنّكَ قَد أَمَرْتَ بالقِسطِ والعَدلِ ودَعَوتَ إليهِمَا))[2]

الجزاء الإلهي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

بقراءة في المجاميع الحديثية التي تضم بين دفتيها الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نجد كماً هائلاً من الروايات التي وردت في فضل وأهمية زيارة الأمام الحسين عليه السلام نذكر روايتين :

الأولى : عن الإمام الصادق عليه السلام قال : ((من لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام حتى يموت كان مُنتقِصَ الدين ، مُنتقِصَ الإيمان ، وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة))[3] .

الثانية : عنه عليه السلام أيضا قال : ((وَكّلَ اللهُ تَبارَكَ وتعالى بقبرِ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام سَبعين ألفَ مَلكٍ يعبدون اللهَ عنده ، الصلاةُ الواحدةِ مَن صلاة أحدِهم تَعدلُ أَلفَ صَلاةٍ من صَلاةِ الآدميين، يكونُ ثَوابُ صَلاتِهم لزوّارِ قَبرِ الحسين عليه السلام ...))[4] .

تُؤكِدُ هاتان الروايتان وغيرهما على أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعكسُ البُعدَ الديني والإيماني في شخصية الإنسان المؤمن ومع أنّ زيارته عليه السلام منذ استشهاده إلى يومنا هذا محفوفة بالمخاطر الكثيرة ، إلا أنّ الزوّار يتحملون هذه الأعباء الجسيمة للوصول إلى قبره عليه السلام حتى بلغ الأمر في بعض الأزمنة أنه إذا ذهب عشرة لزيارة الإمام عليه السلام قتل الطغاة واحداً منهم، إلا أنّ ذلك لم يمنع الزوّار من الاستمرار في الزيارة ، بل أنّ الأئمة عليهم السلام – في ذلك الوقت الحرج – ازداد تأكيدهم وحثهم على زيارته عليه السلام بالرغم من التضحيات الكبيرة والأعباء الثقيلة التي يتكبدُها الزوّار.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج97 ص293.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص337.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص4.

١ بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص55.

أهداف الثورة الحسينية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام

من الواضح أنّ هذه الروايات تُريد ربط المجتمع الإسلامي بالإمام الحسين عليه السلام وربطه بالقيم والأهداف التي ثار من أجلها عليه السلام ، وحددها في مقولته الشهيرة : ((إنما خَرجتُ لِطَلَبِ الإصلاحِ في أُمةِ جَدي ، أُريدُ أَن آمُرَ بالمعروف وأَنهَى عَن المنكر)) . لذا نجد أنّ الثورة الحسينية انطلقت في مسيرتها النهضوية والإصلاحية على أساس قيمٍ إنسانيةٍ رفيعةٍ نابعة من المبادئ الإسلامية العظيمة ، وهذه الأهداف نجدها بجلاء ووضوح في نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام خصوصا النص الذي افتتحنا به حديثنا ، ويمكن أن نُلخص هذه الأهداف والمبادئ في النقاط الآتية :

الأولى : إحياء الدين وتشريعاته التي كادت أن تندرس بسبب الانحراف الأموي .

الثانية : تقديس العدالة ومناهضة الظلم بشتى صوره .

الثالثة : التأكيد على مبادئ الحرية على ضوء الفكر الإسلامي .

الرابعة : السير على نهج الأنبياء والرسل السابقين .

وهذه النقطة الأخيرة نستفيدها أيضاً من نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي تقول :((السّلامُ عَليكَ يا وارثَ آدمَ صفوةَ الله ، السّلامُ عَليكَ يا وارثَ نُوحٍ نبي الله ، السّلامُ عَليكَ يا وارثَ إبراهيمَ خَليلِ الله...السّلامُ عَليكَ يا وارثَ مُحمدٍ حَبيبِ الله ...)) أي أنّه عليه السلام يُجسّدُ في ثورته واستشهاده جميع أهداف الأنبياء والرسل السابقين .

ويُوصلنا ذلك إلى السِّر في تلك الروايات الكثيرة التي تربط الناس بزيارة الإمام الحسين عليه السلام ، وأن ذلك من أجل استمرار وديمومة الأهداف التي من أجلها ثار عليه السلام، إذ من الواضح أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا لا يُريدون لتلك الجذوة التي أشعلها الإمام الحسين عليه السلام أن تنطفئ بل يريدون لها أن تشتعل وتستمر كي تُضيء للسائرين في طريقه عليه السلام .

الإمام المهدي (عجل الله فرجه) والثورة الحسينية .

وإذا كان حديثنا حول استضاءة السائرين بالفكر الحسيني وأخذه نهجاً وطريقاً في الإصلاح السياسي والاجتماعي ، فلن يُوجد أفضل من الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وهو يحمل هذه الجذوة الحسينية منادياً بشعاره المميز ((يا لثارات الحسين)) ، ومعنى ذلك أنّ كُلّ[٥] من حَاربَ الإمام

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص329.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص163.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص286.

الحسين عليه السلام لطمس الفكر الحسيني الأصيل في كل زمان ومكان يقفُ معارضاً لأهداف وقيم النهضة المهدوية إذ المهدي عليه السلام يُجَنِدُ كل طاقاته وقدراته لمحاربتها فكرياً وإعلامياً وعسكرياً .وإذا كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بهذه المثابة نعرِّفُ سِّراً آخر من أسرار الروايات التي تُؤكدُ على أهمية زيارته عليه السلام كي تربط الناس بالثورة المهدوية ، و يتضح هذا المعنى بجلاء في زيارته عليه السلام التي تقول: ((فأَسأَلُ اللهَ الذي أَكرمَ مَقَامَكَ وأَكرمَني بِكَ أَن يَرزُقَني طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إمام مَنصُورٍ مِن أَهلِ بَيتِ مُحمد صلى الله عليه وآله)) [٣] .

وظيفتنا تجاه الثورة الحسينية .

نُردد كثيراً هذه العبارات في زيارتنا للإمام الحسين عليه السلام : ((لَبَّيكَ دَاعَيَ الله ، إنْ كان لم يُجْبكَ بَدَني عِندَ اِستِغَاثَتِكَ ولِسَاني عِندَ اِسْتِنصَارِكَ فَقَد أَجَابَكَ قَلبي وسَمعِي وبَصَري)) [٤] ، هذه الكلمات ليست لقلقةَ لسانٍ تُقالُ جُزافاً ، بل معاهدة مع الإمام الحسين عليه السلام على نُصرة مبادئه وأهدافه والدفاع عنها بالقلب والسمع والبصر ، لذا تقع على عاتقنا مسؤولية جسيمة في نشر مبادئ وأفكار الإمام الحسين عليه السلام وإيضاح الصورة الحقيقة لأهدافه التي ضحى من أجلها ، وهي مسؤولية يتحملها المجتمع بكامله من عالم دينٍ وخطيب منبرٍ إلى المثقفين والشباب والشابات وكبار السن حتى بَراعِمِنَا الفَتية ، وذلك من خلال التأليف أو الجلسات والمحاورات أو من خلال المشاركة في الإعلام المقروء والمسموع بقدر الإمكان . إنّ نشر الثقافة الحسينية على أساس الفكر والوعي – الذي تتضمنه الثورة – تجعل أبناء المجتمع أكثر ارتباطاً وأعمق تأثراً بالثورة الحسينية ، و سينعكس ذلك على دورهم الإعلامي في إيصال هذه الثقافة إلى الآخرين الذين لا يعرفون الثقافة الحسينية أو يُشككون في تعاطينا معها بسبب الإعلام المضلِّل الذي شوه صورة الحقيقة في علاقتنا بالإمام الحسين عليه السلام فكراً ومبدءاً وسلوكاً .

تطور الخطاب الإعلامي .

في هذا السياق نُبدي اعتزازاً وافتخاراً وغبطةً وسروراً بالتحرك الإعلامي الذي تسير فيه بعض القنوات الفضائية وشبكات النت التي تقوم بدور رائع في طرح الثقافة الحسينية على المستوى العالمي وتسعى لمعالجة الإشكاليات ورد الشبهات العالقة في فكر البعض حول هذه الثورة المباركة . إننا نطمح و نتطلع إلى المزيد من التطور على مستوى المادة العلمية و أساليب الطرح التي تتناسب مع الثورة الإعلامية

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص294.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص337.

والثقافية التي يشهدها العالم بأسره ، بالإضافة إلى أننا نحتاج إعلاماً دولياً ضخماً يتناسب مع حجم الإعلام المضاد ونتمنى أن يتحقق ذلك في المستقبل القريب بفضل جهود الشباب الواعي والمثقف.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مضامينها الإصلاحية

روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله خاطب علياً عليه السلام، قائلاً له: «يا علي من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره في درجتي» [1]. صدق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

أهداف تشريع الزيارة.

زيارة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام معلم من معالم الدين، وقد أولت مدرسة أهل البيت عناية كبيرة بها، لتُركز بها مبادئ الخير وأسس الفضيلة لشخصية النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام في نفوس الزائرين، ويمكن أن نلخص جملة من الأهداف التي على إثرها تمت العناية بالزيارة لما تحويه من تلك المعاني الرفيعة:

الأول: الربط العقلي والعاطفي بالإمام.

إذا نظرنا إلى مبدأ الزيارة نجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام يريدون أن يحققوا بها ربطاً عقلياً وعاطفياً بين الزائر والمزور ليتحقق مبدأ القدوة الحسنة من خلال تكرار الألفاظ الدالة على المعاني الكبيرة في شخصية المزور، فهي مدرسة يتعلم فيها الزائر تلك الدروس التي تجسدت في شخصية من يزوره.

الثاني: التجسيد لقيم الدين.

نقرأ في زيارات المعصومين عليهم السلام أنّهم جسدوا قيم الدين وأظهروا معالم الشريعة، فهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

الثالث: غرس المفاهيم العقدية.

من المعاني العظيمة التي نجدها في زيارة الأئمة عليهم السلام أنهم الاستمرار والديمومة لحركة أنبياء الله ورسله عقدياً، وهم الورثة على نحو الحقيقة لجميع الأنبياء والرسل منذ آدم إلى محمد صلى الله عليه

١- بحار الأنوار للمجلسي ج97 ص123.

وآله، وحركة المعصوم تجسد الخير العام للأمة. وأنّ من يريد التقرب إلى الله تعالى لا بد أن يرى الإمام عليه السلام همزة الوصل بينه وبين الحق تعالى.

الرابع: ترتب الخير الوفير على الزيارة.

وإذا كانت المعاني الآنفة مأخوذة بعين الاعتبار فلا غرو أن نجد ذلك الثواب العظيم والأجر الجزيل في زيارتهم عليهم السلام ، بالخصوص في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن زيارة جده الحسين عليه السلام، هل في وقت أفضل من وقت؟ فقال عليه السلام: (زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين ، فإن زيارته عليه السلام خير موضوع ، فمن أكثر منها فقد استكثر من الخير ، ومن قلل قلل له) [1]، يأمر الإمام عليه السلام الناس بزيارة الحسين عليه السلام في كل زمان، في الليل والنهار، في أيام الفضيلة وفي سائر الأيام، أي في كل يوم من أيام السنة يستحب زيارة الحسين عليه السلام، وذلك لما شرحناه من أنّ الزيارة تعمق معاني الكمال والربط بقيم الأنبياء والرسل وبالحق تعالى، ويبين الإمام الصادق عليه السلام بقوله: ‹‹فإنّ زيارته خير موضوع›› ذلك الأمر ويقرره، ‹‹فمن أكثر منها ستكثر من الخير، ومن قلل قلل له ››.

الخامس: التركيز على المفاهيم التشريعية.

هناك معانٍ رائعة للزيارة منها ما جاء في زيارة وارث، وهي من الزيارات المشهورة للإمام عليه السلام وتعرفنا على الخير الذي نناله من زيارته عليه السلام، ‹‹أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة›› ، هذا معنىً عميق أكدّ عليه القرآن الكريم، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (النمل:3)، والإمام عليه السلام لا يقيم الطقوس العبادية البحتة دون أن تقترن بجنبة عملية تُؤثر على حركة المجتمع، هي مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ‹‹وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين››، أي أنه عليه السلام على يقين فيما يقوم به ويدعو الناس إليه.

---

١ - وسائل الشيعة للحر العاملي ج14 ص473.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص200، (أشهد أنك قد أقمت الصلاة ، وآتيت الزكاة ، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ، وأطعت الله ورسوله ، حتى أتاك اليقين ، فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به . يا مولاي يا أبا عبد الله ! أشهد أنك كنت نورا " في الأصلاب الشامخة ، والأرحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك مدلهمات ثيابها ، وأشهد أنك من دعائم الدين ، وأركان المؤمنين ، وأشهد أنك الامام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي ، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى) .

السادس: إبراز البُعد المعنوي في شخصية الإمام.

وفي زيارة وارث، «أشهد أنك الإمام البر التقي»، الإمام عليه السلام بَرٌّ تقيٌ، ليس كبعض من يقوم بثورة، ولا يلتفت إلى المعاني القيمية، بل همه تحقيق المصالح لنفسه أو لفئته. لأنّه عليه السلام يمثل الربط الوثيق بين الحق تعالى والخلق، وهو الهادي إلى الخير والسداد، و المهديٌ من الله تعالى.

السابع: الاستعداد لتلقي مبادئ الحسين عليه السلام.

وفي زيارة الإمام الحسين عليه السلام في رجب وشعبان، نفهم الربط الوثيق بين الزائر وبين المبادئ التي قام بها الإمام عليه السلام من خلال التأكيد على أهمية الاستعداد من الناحية الفكرية والعاطفية، «لبيك داعي الله، إنْ كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري، أشهد أنك قد أمرت بالقسط» ، وعندما نتساءل لماذا يجيب الإمام عليه السلام قلب المؤمن وسمعه وبصره وجميع جوارحه، وجوانحه؟ السبب هو أنّ الإمام عليه السلام أمر بالقسط والعدل ودعا إليهما، «أشهد أنك قد أمرت بالقسط والعدل ودعوت إليهما».

الثامن: الإمام صادق نظرياً وعملياً.

هناك فارق بين دعوة الإمام إلى القسط والعدل وسائر الدعوات تفصح عنه الزيارة، «وأنك صادق صديق صدقت فيما دعوت إليه»، إذْ يرفع بعض الثوار شعارات جوفاء، وإذا وصلوا إلى مآربهم تخلوا عما رفعوه، أما الإمام المعصوم عليه السلام فإنّ فعله يطابق قوله، وقوله يطابق فعله، لأنه صادق صديق فيما دعا إليه من القسط والعدل.

التاسع: تأكيد عبودية الإمام لله تعالى.

تجسد شخصية هؤلاء العظماء أقصى مراتب العبودية والطاعة للحق تعالى، وقد جاء في إحدى زيارات الإمام عليه السلام التأكيد على ذلك، لمن يريد أن يتشرب معنى الثورة الحسينية ويرتبط بها عاطفياً وفكرياً، «السلام عليك أيها العبد الصالح الزكي»، نشهد له بالعبودية مع أن جميع الخلق هم

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص338، (لبيك داعي الله ،إ ن كا ن لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك ، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصر ي، سبط ن ربنا إ ن كا ن وعد ربنا لمفعولا . أشهد أنك طهر طاهر مطهر ، من طهر طاهر مطهر ، طهرت وطهرت بك البلاد ، وطهرت أرض أنت بها وطهر حرمك ، أشهد أنك قد أمرت بالقسط والعدل ودعوت إليهما وأنك صادق صديق فيما دعوت إليه ، وأنك ثأر الله في الأرض).

عباد لله تعالى، إلا أنّ العبودية هنا تمثل صلاحاً، والإمام عبد صالح أصلحه الله تعالى، وزكاه، فجعله طاهراً من الرجس في الفكر والعلم والعمل.

العاشر: الارتباط بالإمام في الدنيا والآخرة.

ويستمر الزائر قائلاً: ‹‹السلام عليك أيها العبد الصالح الزكي، أُودِعُك شهادةً مني إليك تقربني إليك يوم شفاعتك››، يريد من يزور الحسين عليه السلام أن يرتبط به في حياته الدنيا والآخرة، أما في عالم الدنيا فيريد أن يسير على منهاجه، وأن تكون الزيارة ذخيرة له عند الله وعند الإمام عليه السلام ، وأما في الآخرة فإنّ المعصوم يشهد، ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء:71)، أي، أنّ كل شخص مع من يرتبط معه في الفكر والأخلاق والقيم والمعتقد.

الحادي عشر: الاعتقاد باستشهاد الإمام.

وردت في الإمام الحسين عليه السلام روايات متعددة لأهمية ارتباط المؤمن في حياته بزيارته وذلك من أجل التأكيد على مبدأ الاستشهاد في سبيل الله، لأنّ من يمضي شهيداً في سبيل الله لم يمت، بل، هو حي يرزق عند الله تعالى، والتكرار المتواصل لزيارته عليه السلام يغرس مفهوم الشهادة في أذهان من يرتبط به، مما يُهيؤه نفسياً وعاطفياً وفكرياً لتقديم نفسه قرباناً في سبيل تلكم المبادئ التي جسدها الإمام المعصوم، ويريد الزائر للإمام الحسين عليه السلام أن يكون معه في عالم المعاد على أساس اعتقاده بأنّه مات شهيداً، ‹‹أشهد أنك قتلت ولم تمت››، قُتل الإمام عليه السلام ولم يمت، وذلك إقرار من الزائر في حق المزور، ‹‹شهادة مني إليك تقربني إليك يوم شفاعتك››، ويترقى الزائر ليؤكد على معنى أعمق، ‹‹بل، برجاء حياتك حَيَتْ قلوب شيعتك›› ، من كان يرجو الله تعالى واليوم الآخر سيصل إلى الحياة السليمة التي بينها الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران:169)، هذه بعض معاني الزيارة التي أكّد عليها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

---

١ بحار الانوار ج 98 ص 342 (السلام عليك أيها العبد الصالح الزكي ،أ ودعك شهادة مني لك تقربني إليك في يوم شفاعتك ، أشهد أنك قتلت ولم تمت ، بل برجاء حياتك حييت قلوب شيعتك)

ديمومة الفكر الحسيني في الأربعين

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:32).

صدق الله العلي العظيم.

ربط الإيمان بشعائر الدين.

أُوليت ذكرى الأربعين لإمامنا الحسين عليه السلام بعنايةً في ثقافة وفكر أهل البيت عليهم السلام، فجُعلت من علامات المؤمن، روي عن الإمام العسكري عليه السلام، ‹‹علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين، وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم›› [1].

توكيد بربط الإيمان الوثيق بشعائر الدين ومنها زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ولم ترتب هذه الآثار إلاّ لأنّ زيارة الإمام عليه السلام تُذَكِّر المؤمن بالأهداف والمبادئ والقيم التي ثار الحسين عليه السلام من أجلها، وأنّ على من يقف على قبره زائراً أن يتذكر أهداف الثورة الحسينية والارتباط الوثيق بين الإمام عليه السلام وبين الحق تعالى، وبين الإمام عليه السلام وقيم الرسالة، وبين الإمام عليه السلام ومبادئ القرآن الكريم.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج82 ص75.

قيم رفيعة في زيارة الأربعين.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين الأولى للحسين عليه السلام قوله: ‹‹أشهد أنه وليك وابن وليك، وصفيك وابن صفيك الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة وحبوته بالسعادة››، إلى أن يقول عليه السلام: ‹‹وأعطيته مواريث الأنبياء وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء فأعذر في الدعاء ومنح النصح وبذل مهجتك فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة›› [١].

مضامين رفيعة تشرح المبادئ والأهداف التي قام من أجلها الإمام عليه السلام وهي:

الأول: الإمامة تمثل ولاية الله.

يمثل الإمام عليه السلام ولاية الله تعالى لأنه الامتداد للولاية الإلهية المجسدة في أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو أيضاً المصفّى والمصطفى من الله والفائز بالكرامة الإلهية لتضحياته الجسام في سبيل الحق.

الثاني: الإمام وارث الأنبياء.

تبين الزيارة أنّ الله تعالى منح الإمام عليه السلام مواريث الأنبياء وجعله حجة على الخلق.

الثالث: الإمام هادي الأمة.

مارس الإمام عليه السلام دوراً هاماً في تقديم النصح إلى حد بذل نفسه قرباناً في سبيل الله لاستنقاذ العباد من الجهل والتيه وحيرة الضلال.

الرابع: الإمام الحسين حافظ خط الأنبياء.

وفي مضامين أخرى من زيارة الأربعين التي زاره بها الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه توكيد على أنّه عليه السلام وارث لأنبياء الله ورسله عليهم السلام والحافظ للخط الرسالي لهم عليهم السلام.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98ص331، (اللهم إني أشهد أنه وليك وابن وليك ، وصفيك وابن صفيك ، الفائز بكرامتك ، أكرمته بالشهادة ، وحبوته بالسعادة ، واجتبيته بطيب الولادة ، وجعلته سيدا " من السادة ، وقائدا " من القادة ، وذائدا " من الذادة . وأعطيته مواريث الأنبياء ، وجعلته حجة على خلقك من لأ هياء ، فأعذر في الدعاء ، ومنح النصح وبذل مهجته فيك ، ليستنقذ عبادك من الجهالة ، وحيرة الضلالة).

الخامس: إحياء مبادئ الدين.

وقد بيّن جابر في زيارته بأنّ الإمام عليه السلام قام بثورته لإحياء مبادئ الدين وإذكاء روح الشريعة المقدسة في نفوس المسلمين، فقال رضي الله عنه: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر» [1]، إنها قِيمُ الرسالة وسبلُ الحق التي تهدي المؤمنين إلى شاطئ الأمان وتوصلهم مرتبة الاطمئنان في الإذعان للحق والسير على مبادئه، ويشير جابر في هذا المقطع إلى المسؤولية الدينية الملقاة على عاتق المؤمن تجاه الأمة.

الثورة الحسينية في نظر علماء الأمة.

كل مسلم مسؤول أمام الله عن عزّ وكرامة أمته، ومطالب بالمشاركة في رفعتها وعلو شأنها قال المصطفى صلى الله عليه وآله: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [2]، وقد فهم كثير من علمّاء الأمة الذين فقهوا مبادئ الدين ووصلوا إلى المغزى السليم من ثورته عليه السلام، حتى من لم يؤمن بمدرسة أهل البيت عليهم السلام وأشرك في الحجية الصحابة والتابعين مع أهل البيت عليهم السلام، لكنهم فقهوا مبادئ الثورة الحسينية، وسنستعرض بعض آراء هؤلاء:

الأول: قال الإمام محمد عبده: (إذا وُجد في الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع وحكومة جائرة تعطله وجب على كل مسلم نصر الأولى وخذلان الثانية) [3].

الثاني: وقال الكاتب محمد عبد الباقي سرور: (لو بايع الحسين عليه السلام يزيد الفاسق المستهتر الذي أباح الخمر والزنا وحطّ بكرامة الخلافة إلى مجالسة الغانيات وعقد حلقات الشراب في مجلس الحكم والذي ألبس الكلاب والقرود خلاخل الذهب ومئات الألوف من المسلمين صرعى الجوع والحرمان، لو بايع الإمام الحسين عليه السلام يزيداً أن يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله على هذا الوضع لكانت فُتيا من الحسين عليه السلام بإباحة هذه المنكرات للمسلمين، وكان سكوته عليه السلام رضى، والرضا من ارتكاب المنكرات ولو بالسكوت إثم وجريمة في حكم الشريعة) [4].

الثالث: قال الأديب الكبير العلائلي رحمه الله: (وهناك واجب على الخليفة إذا تجاوزه وجب على الأمة إسقاطه ووجب على الناس الثورة عليه) [5] ما هو هذا الواجب؟ هو المبالغة باحترام القانون الذي يخضع له الناس عامة وإلاّ فأي تظاهرٍ بخلاف القانون يكون تلاعباً وعبثاً ومن ثمّ وجب على رجل القانون –

١- بحار الأنوار للمجلسي ج98 ص330.

١- ميزان الحكمة للريشهري ج2 ص1212.

١ حياة الإمام الحسين (ع) للقرشي ج2 ص271.

١- حياة الإمام الحسين (ع) للقرشي ج2 ص272.

١- حياة الإمام الحسين (ع) للقرشي ج2 ص274.

هرم الدولة – أن يكون أكثر تظاهراً باحترام القانون، فهو يمثل الضمانة والصيانة للقانون، أما إذا كان مستهتراً بمبادئ القانون الإسلامي كما كان يزيد فليس هناك متسع للإمام الحسين عليه السلام إلاّ أن يثأر من أجل إرجاع الناس إلى مبادئ الرشد وقيم الحق، ومسار الفضيلة، لذا قال هذا الأديب الكبير: (ومن ثَمّ وجب على رجل القانون أن يكون أكثر تظاهراً باحترام القانون من أي شخص آخر، وأكبر مسؤولية من هذه الناحية، فإذا فَسَقَ الملك – هرم السلطة كيزيد – ثم جاهر بفسقه، وتحدّى الله ورسوله والمؤمنين لم يكن الخضوع له إلاّ خضوعاً للفسق، وخضوعاً للفحشاء والمنكر)، ويُردف قائلاً: (ولم يكن الاطمئنان إليه إلاّ اطمئنانا للتلاعب والمعالنة الفاسقة) [٧] . [٦]

إذن هكذا قال هؤلاء العلماء رغم أنهم ليسوا من المنتمين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام لكنهم يفقهون الحق ويدركون الواقع ويعرفون قيم الرسالة والأهداف الكبيرة التي ثأر من أجلها الحسين عليه السلام لتحكيم مبادئ العدالة والاستنان بسنة المصطفى صلى الله عليه وآله.

خطر الطغاة على الدين.

الاطمئنان إلى الجبابرة والطغاة الذين يستهزئون بمبادئ الشريعة وقيم الدين الحنيف من التلاعب باسم الدين، ولابد للمعصوم عليه السلام أن يُقاوم هؤلاء وكذلك يجب على أفراد الأمة إلاّ أنه من المعصوم أولى، لأنه حافظ للشرع وقيم على مبادئه، قال الإمام الحسين عليه السلام: ‹‹ويزيد رجل فاسق شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله›› ، يشرح عليه السلام بغض أهداف ثورته التي منها أنّ هرم السلطة كان يحارب قيم الدين، ولا يألوا جهداً في إسقاط مبادئ الحق وليس هناك متسع، يمكن أن يلجأ إليه المسلم في مقاومة الباطل ولا ذريعة يمكن أن يركن إليها، فكان لابد من الجهاد والمقاومة كما فعل الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين في نظر غير المسلمين.

علّم الحسين عليه السلام الناس هذه القيم وشرع لهم هذه المبادئ، وليس ذلك ما فقهه المسلمون من أتباع أهل البيت عليهم السلام وأتباع المذاهب الأخرى فحسب، بل فُقِه من أصحاب الديانات الأخرى، كتب المفكر المسيحي انطوان بارا كتاباً سماه (الحسين في الفكر المسيحي) وفيه عبارات تبجل الإمام عليه السلام وتشرح روعة المبادئ التي ثأر عليه السلام من أجل إزالة الريب عنها والركام الذي حاول الأمويون جاهدين أن يجعلوه عليها، ولم يكن هذا الموقف من الإمام الحسين عليه

١- حياة الإمام الحسين (ع) للقرشي ج2 ص274.

١- بحار الأنوار للمجلسي ج44 ص325.

السلام مقتصراً على أصحاب الأديان السماوية كالمسيحيين واليهود، بل وقف الذين لا يدينون بدين مبجلين للإمام عليه السلام في ثورته، يطرونه عليه السلام في تقديمه التضحيات الجسام، قال غاندي محرر الهند: (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر)[1].

لأنّ الإمام عليه السلام جابه ذلك الجبروت ووقف أمام الطغيان ليعلن للبشرية جمعاء أنّ الحق أحق أن يتبع وأنّه لا سبيل للأحرار عندما يستشري الظلم، والفساد في هرم السلطة إلاّ المقارعة وتقديم النفوس قرابين في سبيل الله تعالى، والرواية التي ذكرناها عن إمامنا العسكري عليه السلام بأنّ من علامات المؤمن زيارة الأربعين جاءت لتبين أنّ مصيبة الحسين وذكر اللوعة والانتهاك لمبادئ الحق وقيم الرسالة وإسقاط القوانين لا يرتبط ذلك بأيام الواقعة فقط بل يستمر إلى نهاية الدهر وذكرى الأربعين معلم من معالم الاستمرار والديمومة لفكر الإمام عليه السلام وتضحياته الكبيرة.

١- الأخلاق الحسينية للبياتي ص326.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول: أسباب ثورة الإمام الحسين (ع).	
تجديد الخطاب الحسيني في عاشوراء	٢
مسارات في فكر النهضة الحسينية	٥
العزة والكرامة في النهج الحسيني	٩
الثورة الحسينية التطبيق الكامل للإسلام	١٢
الحسين وتجسيد منهاج الإسلام	١٨
الثورة الحسينية نهضة حياة	٢٣
كيف نحيي عاشوراء	٢٨
الفصل الثاني: أهداف ثورة الإمام الحسين (ع).	
الاستقامة مبدأ الثورة الحسينية	٣٤
ثورة الإمام الحسين في أهدافها الإنسانية	٤٠
الحسين عليه السلام عِبرة وعَبرة	٤٤
أصحاب الحسين عليه السلام والموت للحياة	٥١
الفصل الثالث: المنهج الحسيني في الثورة	
الإمام الحسين عليه السلام ثورة إصلاح وتغيير مسار	٥٧
الأمويون وانتهاك القانون)	٦١
المنهج الأموي في مواجهة الإسلام و الأمة	٦٤
الفصل الرابع: أثر الثورة الحسينية في حركة التأريخ.	
رجال الثورة الحسينية وصنع التأريخ	٧٠
الحسين تجسيد اليقين بالموت	٧٦
مكتسبات اليقين العملي بالموت	٨١

عاشوراء في خلودها التأريخي	٨٥
التطور التأريخي للمآتم الحسينية	٩٠
البعد التأريخي في الملحمة الحسينية	٩٧
السنن التاريخية بين الأنبياء والإمام الحسين (ع)	١٠٤
الفصل الخامس: الثمرات المترتبة لزيارة الإمام الحسين (ع).	
زيارة الإمام الحسين منارة فكر وأصالة ثقافة	١٠٩
زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مضامينها الإصلاحية	١١٣
ديمومة الفكر الحسيني في الأربعين	١١٧